

الباب الثالث

العدالة الإجتماعية في الإسلام:

دراسة

الفصل الأول : موضوع الكتاب

الفصل الثاني : خلاصة البحث

الفصل الثالث : خلاصة الدراسة

الفصل الأول

موضوع الكتاب

التمهيد

إن الكتاب الذي أنا بصددده اعنى " العدالة الاجتماعية في الإسلام " فهو من أول مؤلفات قيمة لسيد قطب في الفكر الإسلامي. ألف كتابه هذا قبل إيفاده إلى أمريكا وقبل سفره عهد إلى شقيقه محمد قطب بمهمة طبعه، وقد صدرت طبعته الأولى في أبريل 1949م. وقد اختار ميدان الإصلاح الاجتماعي ليكتب فيه. ويبين منهج القرآن في اقرار العدالة الاجتماعية، لأن مصر طوال الأوسط القرن الماضي كانت تعيش ظروفًا اجتماعية وإقتصادية حرجة، وبخاصة الحرب العالمية الثانية، وظهرت الفوارق بين فئات المجتمع وطبقاته بصورة حادة بارزة. وبرز أغنياء الحرب المشتغلون والمنتفعون، بينما إزداد غالبية شعوب مصري فقرا وجوعا وحرمانا.

قلنا سابقا أن سيد قطب أقبل أول مرة على القرآن يطالعه لدواع أدبية، عندما كان يعد كتابه التصوير الفني في القرآن ولكن الرجل فوجئ بوجود قواعد ومناهج في هذا القرآن تصلح أساسا لإنشاء مجتمعات وإقامة حياة وقد استرعت هذه انتباهه وشدته إليها شدة فكتب عنها ملاحظات صغيرة، وراح يكمل بحوثه وكتبه الأدبية التي أشرنا إليها وفي نيته أن يعود إلى هذه القواعد والمناهج ليدرسها ويتمعن فيها ويظهرها للناس، ويحاول أن يجعلها الأسس المتينة لإقامة المجتمع الإسلامي المنشود.

وقد أختار ميدان العدالة الاجتماعية يكتب فيه أن ويبين منهج القرآن في إقرارها وقواعده في تحقيقها لأن البلاد كانت تمر في مرحلة اجتماعية حرجة فقد خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية مصلحا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وتزلزلت بنية المجتمع المصري فبالإضافة إلى طبقات الإقطاعيين والباشوات وكبار الملاك الذين

استحوذوا على غالبية الثروة في البلاد ظهرت طبقات أغنياء الحرب والمستغلين والمنفيعين وبقيت غالبية الشعب المصري في فقر مدقع لا تجد قوت يومها وتبيت ليلتها طاوية وحدثت هزات اجتماعية وانتشر المتسولون وقطاع الطرق، وراح الشعب يئن تحت وطأة الظلم الاجتماعي.

والأوساط الإسلامية اعتبرته فتحاً جديداً في المكتبة الإسلامية، ونصروا مؤزراً للفكر الإسلامي في صراعه مع الأنظمة الفكرة الأخرى واعتبرت مؤلفه مفكراً إسلامياً كبيراً يتمتع بالإيمان والصدق والإخلاص مما قرب المسافة بينه وبين الحركة الإسلامية لقد كان الكتاب إرهاباً لأنضمام صاحبه إلى الحركة الإسلامية بعد ذلك.

طبع كتابه عدة طبعات في حياته والطبعة الأخيرة هي الطبعة السادسة التي صدرت عن دار إحياء الكتاب العربية بالقاهرة عام 1964 وهي طبعة جديدة منقحة أضاف إليها آخر أفكاره وحذف منها بعض الأفكار الأخرى التي تبين له خطؤها ومما أضافه إليها فصل التصور الإسلامي والثقافة.

وفي هذه الظروف الحرجة نشط الشيوعيون في الرعاية لمذهبهم الشيوعي، فانتشروا في أوساط المحرومين والمعدمين. وكان سيد يعيش هذه المأساة، فحاول القيام بالإصلاح الاجتماعي والإقتصادي، فأنشأ مجلة " الفكر الجديد " لهذا لإصلاح، وهي لم تدم طويلاً. ونشر الكثير من المقالات الإصلاحية. أمعن النظر في القرآن، وفي آياته التي تدعو إلى الإصلاح الاجتماعي والإقتصادي والأخلاقي والسياسي. وهو أول من أطلق هذا المصطلح " العدالة الاجتماعية " حيث صار يستعمله الباحثون والكتابون بعد ذلك بدل المصطلح " الاشتراكية ".

إن الكتاب الذي بين أيدينا أعنى " العدالة الاجتماعية في الإسلام " فهو يحتوي على 217 صفحة، وقسمه الكاتب البارع سيد قطب على تسعة عناوين الرئيسية وتحتوي بعضها على فصول عديدة. فنجد أن سيد قطب بدأ كتابه ببيان الفرق بين نظرة المسيحية ونظرة الإسلام فيما يتعلق بالدين والإجتماع. ثم أتى بطبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام وأسس العدالة الاجتماعية في الإسلام ووسائلها فيه وسياسة الحكم وسياسة المال بشئ من التفصيل. ثم قدم إيجاز " الواقع التاريخي " للمسلمين، وختم كتابه باستشراف حاضر

الإسلام ومستقبله، ودعا أمة التي تعيش على " مفترق الطرق " إلى إقرار العدالة الاجتماعية، والإصلاح المالي والسياسي في حياتها، على أساس الإسلام.

وبعد هذا التعليق المجل على كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" لسيد قطب نحن نؤد أن نلقئ الضوء على جميع عناوين هذا الكتاب وأن ندرسها دراسة شاملة عليها واحدة تلوى أخرى.

موضوع الكتاب :

تتنمى إلى الموضوع لهذا الكتاب فنجد أن سيد قطب ناقش حول "العدالة الاجتماعية في الإسلام" وأظهر أن الإسلام نفذ العدالة في الخطوات المختلفة للمسألة الاجتماعية في الحياة اليومية في الإسلام. تناول سيد بداية هذا الكتاب تفاوت مميزات بين المجتمع الإسلامي وبين المجتمع النصراني واليهودي نسبيا. فإذا كان المجتمع اليهودي متجدا لا روحانية فيه، وإذا كان المجتمع النصراني منشطرا إلى روحانية رهبانية، زنظاما قانوني وضعي، بينهما علاقة إنفصال وإتصال، فإن المجتمع الإسلامي لم يكن رهينة، إمبراطوية أو ملك، بل نشأ نستقلا بروحانية وسلوكه ومعاملاته جامعا بين الدعوة والدولة ، بين الضمير الفرد وواقع الجماعة. يقول سيد عن مجتمعية الإسلام لن يستقيم هذا الدين في عزلة عن المجتمع، ولن يكون أهله مسلمين، وهم لا يحكمونه في نظامهم الاجتماعي والقانوني المالي، فأثبت هذه النظرية بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية.

ثم صرّح سيد عن المسائل التي تتعلق بطبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام. فلا يمكن إدراك الطبيعة إلا ضمن التصور العام للإسلام حول الكون والالوهية والحياة والإنسان بإعتبار أن الإسلام يمثل تصورا شاملا ومكاملا يعالج مختلف مجالات الحياة. لهذا يرى سيد قطب أن العدالة في الإسلام هى عدالة شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية.

وكذلك قدّم سيد أسس العدالة الاجتماعية. وحصره هذه الأسس في ثلاثة : وهى الحرية والمساواة والتكافل، يحتوى بحث الحرية عن التحرر الوجداني المطلق تفصيلا، والمساواة تحتوى بالإنسانية الكاملة وتحتوى التكافل عن التكافل الاجتماعية من حقوق الناس. التكافل الاجتماعي فلاها يتأتى بالتحرر المطلق من كل إلتواء أو بالمساواة المطلقة التي لا شرط لأن هذا يحطم الفرد مثملا يحتم الجماعة.

وبعده قدّم الكاتب عن بيان وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام يقوم على دعامتين أحدهما التكليف القانون داخل المجتمع والثاني والضمير البشرى داخل الفرد فهي عدالة شاملة وتطلب وسائل من نفس الطبيعة وازع فردى ووازع السلطة التشريعية من الأحكام القانونية والتنفيذ الحكومي. وبيّن فيها كيف حرّم الإسلام الإحتكار والإدخار والبخل والشح والربا وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة والإكتناز. وبيّن سيد تحت ضمن الوسيلة الثانية هي سياسة المال التي تقوم في الإسلام على تحقيق العبودية لله وحده، ويخلص سيد أن سياسة المال في الإسلام تقوم على قاعدتين أولهما قاعدة الإستخلاف، والثاني التملك المشروط.

وإستقدم المؤلف الصورة الحقيقة من الواقع التاريخي في الإسلام، فبيّن فيها عن حقيقة الإجتماع المسلمين، وهي النماذج البارعة في تاريخنا التي لا تداع مجالا لشك في أن الإسلام هو النظام الأليق والأصدق والأمتل لحياة البشر. وأكبر نموذج هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الحكماء ثم باقى الصحابة خصوصا أبوبكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وثم عمر بن عبد العزيز رحمه الله والعديد من التابعين العاملين. وذلك لما لامست أرواحهم روح الإسلام وبذلوا كامل طاقتهم لنصرة هذا الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض. فكانت سياسة المال عادلة وكانت سياسة المال راشدة، فكان المجتمع إسلاميا حقا. ولكن في أيام بنى أمية ثم في أيام بنى العباس من بعدهم ، كان بيت المال مباحا للملوك كانه ملك لهم خاص، ففسدت سياسة المال بعد فساد سياسة الحكم تحوله من خلافة إلى ملك.

وكذلك أتى بالبيان حاضر الإسلام ومستقبله، فابحثه فيه عن صورة العالم الإسلامي وسياسته ونظامه المال والحكم. وبعده يقدم سيد قطب بشجاعة خاصة أن القيم التي تسود حياة الناس صنفان فقط وهي القيمة الإسلامية والجاهلية، أن العلوم الكونية من كيمياء وطبيعة وأحياء وفلك وصناعة وزراعة وطرق ادارة وطرق الحرب فيجوز أخذها من المسلم ومن غير المسلم، ويجوز أن يشتغل فيها المسلم وغيره. فالعلوم البحتة لا وطن لها ولا دين ولا جنس على خلاف الفلسفات المادية التي تحمل تصورا جاهليا للإنسان والكون والمصير.

وفي آخر الكتاب يقدم المؤلف تأصيلاً وتحليلاً لقضايا الأدب والفن والتاريخ بنظرة نقدية مستقبلية وتربط هذا القضايا بالمقومات العامة للحياة الإسلامية.

الفصل الثاني

دراسة الكتاب

" الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام " هذا هو المبحث الأول من عناوين الكتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام"؛ ويذكر فيه المؤلف أولا أحوال الدين والمجتمع في العالم الإسلام والمسيحي على أسس الإقتصادية . أوجب عليه أن يتفكر في استيراد المبادئ والخطط واستعارة النظم الشرائع لتراجع رصيدها الروحي وتراثها الفكري. فصور هناك تصويرا للنظريات الغربية على طبيعة الإسلام. وإن نقل إلى أحوال الاجتماعية على قارة أوروبا وأمريكا وآسيا خصوصا في الصين ويوغوسلافيا لا تحقق العدالة . وأشار إلى نظريات مختلفة ومبادئ مختلفة لتستجلب المبادئ الديمقراطية أو الاشتراكية أو الشيوعية، تمثل هذه النظريات حل مشكلاتها الاجتماعية. ولكن اختلفت في أحوالها ومواقعها وتاريخها ومقومات حياتها المادية والفكرية والروحية. فقسّم هؤلاء المعلنين على قسمين : الأول وهم الذين يدعون أنفسهم الإسلام دينهم وهم محافظون الإسلام. وهم قائلون أن الدين هو صلة بين العبد وربّه. لا علاقة به الناس والمجتمع ومشاكل الحياة وسياسة في الحكم وسياسة في المال . والثاني وهم يعتقدون أن الدين مخدر الذي يستغله الرأسماليون والحكام المستبدون . يسأل سيد عن هذه الأقوال الغربية على طبيعة الإسلام . من أين صدرت هذه الأقوال. عندما أرسل عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل كانت الأرض المقدسة تحت مستعمرة رومانية. فدعا عيسى عليه وسلم الناس إلى التهذيب الروحي والتطهير الوجداني ورد الروح الحياة إلى قلوب الإسرائيل. فبلغت المسيحية مستوى عاليا في التطهر الروحي والتجرد المادي. وكذلك رسمت الكنيسة للمسيحية ونشأت في بيئة خاصة .

الرومان ورثة الحضارة الإغريقية المادية الوثنية إلى أوروبا . ووضع سيد بعض نظريات المسيحية التي تتعلق بملكوت السماء وإنعزالها عن الحياة الأرضية الواقعية.

وأظهر خيالهم أن لا يصلح الدين للحياة . صلة الدين بين العبد والرب فقط. والدين بقي في عزله الوجدانية هناك في القلوب والضمائر والهيكل المقدس لم تتمثل المسيحية هنالك في نظام يهيمن على الحياة كلها ويربط ملكوت الأرض بملكوت السماء . ويبيّن الباحث كيف يعزل بين الدين والدنيا في حياة الأوربيين.

وبحث فيه النظريات الغربية علي طبيعة الإسلام. و كيف نشأت المسيحية في ظل الإمبراطورية الرومانية. وعلاقات الرجال المسيحية بالكنائس. فحاول المؤلف أن يستعرض تصويرا واضحا بين الاجتماعي الإسلامي والمسيحي. ثم بين كيف تأثرت النظريات الغربية علي النظريات الإسلامية. تعرف الموصوف الإسلام بخصائص الألوهية في "الحاكمية" كما قال الله تعالى :

" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمونك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"¹ "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" ² " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "³.

قد فسر المفسرون الآية المذكورة – ان الله تعالى أقسم بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلون حكما فيما وقع بينهم من نزاع في حياة الرسول، ويتحاكموا إلى سنته بعد مماته، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما انتهى إليه حكمالرسول ، وينقادوا مع ذلك انقيادا تاما ، فالحكم بما جاء به رسول الله صلعم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم⁴ . وما اعطاكم الرسول من مال أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهوا عنه .

قد يصور سيد قطب بالآيات المذكورة تصوير الدين الإسلامي الحقيقي . ويقول أربع شعائر في الدين. وهي العبادات والمعاملات والشرائع والتوجيهات . مثلا العبادات تتصل في طبيعته وأهدافه عن النظم والمعاملات. وأظهر المساواة أمام دين واحد في الصلاة بتوجه الفرد والجماعة إلى الله وإلى قبلة واحدة . الكلمة الطيبة أول الركن الإعتقادي في هذا الدين. أراد أن يذكر التوحيد والرسالة ويبيّن سيد حقيقة الإسلام وهي لا

⁽¹⁾ سورة النساء: 65

⁽²⁾ سورة الحشر: ٧

⁽³⁾ سورة المائدة: 44

⁽⁴⁾ التفسير الميسر: ص٨٨

يقدر أحد أن يبتدع بدعا ولا تأويلا جديدا لحقيقة الإسلام ، الإسلام هو الدين الخالص له وجهة واحدة .ومحمد صلعم أول صاحبها فهم الإسلام كما فهم الأصحابه المخلصون له والقريبون.

ويبين معنى العبادة فى الإسلام وهى مجرد إقامة الشعائر ، انما الحياة كلها خاضعة لشريعة الله يتوجه بكل نشاط فيها إلى الله . ولذلك كل خدمة إجتماعية وكل عمل من الأعمال الصالحات تعد عبادة. سيد في هذا الصدد بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية منها كما يلي :

"يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . ذالك خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض، وابتغوا من فضل الله"⁵ " وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا"⁶.

"وقال صلعم : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار"⁷ " عن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع النبي فى سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر. قال : فنزلنا منزلا فى يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، فمنا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب. فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله "⁸.

"وعنه أيضا أنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ! قالوا : أين نحن من رسول الله تلى الله عليه وسلم - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال : "،تم

⁽⁵⁾ سورة الجمعة - ٩- ١٠

⁽⁶⁾ سورو النبأ ، ١٠- ١١

⁽⁷⁾ رواه الترمذى والنسائ

⁽⁸⁾ أخرجه السنة

الذين قلتم كذا وكذا . أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له . ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني" ⁹ .

نفهم بهذه الآيات المذكورة والأحاديث النبوية حقيقة الإسلام في الدلالة على روح الإسلام ومحمد صلعم هو أعرف بدينه ، استهانة بأمر الصوم والصلاة ، الذي يعمل للحياة وهو يعمل للعقيدة . لا رهبانية في الإسلام كما في الأديان الأخرى . الصلاة والرقود والزواج من سنن النبي صلعم . المراد بها إطاعة الله ورسوله في عمل ، وفي كل موقف من مواقف الحياة الإنسانية أوامر الله وسنن النبي صلى الله عليه وسلم .

وصلة العبادات مع المعاملات كالإيمان بالله والصلاة . وأثبت عقيدة الإسلام في الحاكمية بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية . فقدم سيد هناك نظريته في الإسلام عن الإعتقاد والعمل وبيّن الفرق بين الإسلام والمسيحية . عند المسيحية يوجد عزلة بين الدين والدنيا ، وبين العقيدة والإجتماع ولكن في الإسلام لا عزلة بين الدين والدنيا والعقيدة والإجتماع . وأثبت دليلاً من جانب الإسلام من الآيات القرآنية كما يلي:

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا" ¹⁰ . "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا" ¹¹ . " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" ¹² . " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ؛ وآت المال - على حبه - ذوي القربى واليتامى والمساكين وفي الرقاب ؛ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ؛ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس" ¹³ .

ثم يريد سيد قطب أن يوازن بين الدين المسيحي والدين الإسلامي في مسألة التوسّط ؛ فيقول في موضع أن في المسيحية يحتاج الفرد إلى الكهانة لإتصال بربه ولكن في الإسلام لا يحتاج الفرد لوساطة بين الخلق والخالق . وليس في الإسلام "رجل دين"

⁹ الشيخان ونسائي
¹⁰ سورة القصص : ٧٧
¹¹ سورة الحج : 40
¹² سورة البقرة ١٩٠
¹³ سورة البقرة ١٧٧

ولكن فى الإسلام علماء بالدين . وليس للعالم بإعتبار هذا الدين من حق خاص فى ملاحظة المسلمين . وليس للحاكم فى رقابهم الا تنفيذ الشريعة التى لا حق أن يبتدعها . فكل فريضة يفرضها الله على الجميع. فإن الإنسان يحشرون إلى الله يوم القيامة فردا لمحاسبة اعمالهم كما فى القرآن :

" وكلهم آتية يوم القيامة فردا " ¹⁴.

وقد يذكر منزلة العلم والعلماء الإسلام وما يتعلق العلم بالإسلام أن الإسلام يحترم العلم والعلماء؛ ويعتبر أن العلم يؤدي الإنسان إلى معرفة الله ويستطيع ان يتحمل له أيّ خسران أو فقدان إذا كان العلم صحيحا ومقدسا، وحصوله فريضة على كل مسلم ومسلمة وهو فريضة مقدسة فى الأعمال الدينية وآتى لهذه الفكرة حديثين :

" طلب العلم فريضة على كل مسلم " ¹⁵. "من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " ¹⁶.

وكذلك يظهر ان الإسلام دين لم يعتمد على الخوارق والمعجزات ولكن قام علي التأمل والنظر في قدرة الله تعالى في الأنفس والآفاق . وآتى سيد قطب بدليل القرآنية على توحيد الله كخلق السموات والأرض والليل والنهار والفلك ونزول الماء وإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب وخروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي وخلق آدم من تراب وخلق حواء من آدم وجعل المحبة والرحمة بين الرجال والنساء وإختلاف اللسان واللون وخلق النوم والنهار لطلب المعاش من القدرة الكاملة لله تعالى . كما قال الله تعالى فى الآيات التالية :

"إن فى خلق السموات والأرض ، وإختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون" ¹⁷ .. "يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي

¹⁴ سورة مريم - ٩٥

¹⁵ ابن ماجه

¹⁶ مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

¹⁷ سورة البقرة : 164

الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون. ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون. ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. ومن آياته خلق السموات والأرض وأتلاف ألسنتكم وألوانكم . أن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وأبتغواكم من فضله . إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"¹⁸.

وقد يعرض المفكر ايضا أن الإسلام هو الدين الذي يربط التقوى بالعلم و يجعل العلم إلى معرفة الله وخشيته كما توجد في القرآن الكريم :

" إنما يخشى الله من عباده العلماء " ¹⁹

ورفع مقام العلماء على الجاهلين كما قال الله تعالى :

"قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ²⁰.

وأتى بدليل من الحديث النبوي منها :

" فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب " ²¹.

فيقول في استنتاج كلامه بهذا الصدد ان لا خلاف بين معنى الدين ومعنى العلم الصحيح، لا في طبيعة الإسلام ولا في تاريخه، كما نجد جفوة وقعت بين "الكنيسة" ²² والعلماء في صر النهضة وتلاه.

ثم يبين المفكر الموصوف عن أسباب تنحية الدين عن المجتمع في الإسلام والمسيحية ؛ فيقول أن لا مجال لوجود سبب تنحية الإسلام عن المجتمع وهو تقريق هذا الدين عن المجتمع لا من طبيعته الخاصة ولا من ظروفه التاريخية. ولكن توجد الإقتلاع أسباب المختلفة في دين المسيحية في اوربا؛ فإنه قد فرق المجتمع عن دينها؛ وإن المسيحية

¹⁸ سورة الروم - 19 - 24

¹⁹ سورة فاطر : 28

²⁰ سورة الزمر: 9

²¹ مشكوة المصابيح

²² الكنيسة هي اسم سرياني معناه "مجمع" أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد " اكليزيا" فإنها تعني مجمع المواطنين في بلاد اليونان التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمر أخرى. وقد استعمل الكتاب الملهمون الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون أن الرب يسوع المسيح هو رأسهم الأعلى الذين كانوا يجتمعون في أوقات منتظمة معينة أو كما تسمح الفرص للعبادة والصلاة ولما تكاثر عدد أتباع يسوع في مدن متعددة بدأوا باستعمال كلمة " كنائس" بصيغة الجمع لدلالة عليهم ، وكانت الجماعة الواحدة في كل بلد تدعى " كنيسة".

تركت للدين أعنى لرجال الدين تطهير القلوب وتركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وطرق تسيير الحياة الإنسانية. وكذلك لا يوجد أى سبب للعداوة بين الدين الإسلام والكفاح في حدود المنهج الإسلامي لتقرير العدالة الاجتماعية بمعناه الحقيقي. لكن توجد العداوة بين دين المسيحية والشيوعية . فالإسلام يفرض قواعد العدالة الاجتماعية ويضمن حقوق الفقراء في أموال الأغنياء. ويضع للحكم وللمال سياسة عادلة. فيقول أن أوربا اضطرت لتفريق الدين عن حياتها الاجتماعية، والشيوعية اضطرت ان نعادي الدين فلا حاجة للإسلام ان يجاري في طريقها.

ثم يقول المفكر البارع – منتقدا بعض المسلمين المزعومين – أن الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمر الحياة ومناهج السلوك للإنسان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ؛ الرب هو الله الذي خلق الكون ومؤسس قوانينه ، ويعلم كيف يجد ويتطور التطور التاريخي ويجب عليه بما يتعلق من نمو إجتماعي وإقتصادي وفكري . إنه أعد الخطوط الثابتة . والأصل العام ، والقواعد الشاملة . وترك التطبيقات تطور الزمان، لذلك لا حاجة لنا ان نترك ديننا ونأخذ قانونا من قوانين اخرى مستتبطة من اديان غريبة أو من نظريات لادينية أو من فكري مادي فإننا لا ننس ولن ننس في اي طور من حياتنا اذا كنا نقيم انفسنا على أساس من دعوى الإسلام وتتحقق لنا العبودية لألوهية الله تعالى وحده وهي صورة الحكم بشريعة الله تعالى – وأخيرا يختم هذا المبحث بنتيجة ان دين الإسلام يدعونا إلى ان نثبت أنفسنا في مصداق من قول الله تعالى :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله".

نفهم بذا أن القوانين الإسلامية التي يفرض الله مستفدة في كل زمان وفي كل حال في كل مواقف الحياة الإنسانية . لا يقيدنا في زمان خاص كما يزعم بعض الناس من المجتمع المسلمين الذين يظاهرون أنفسهم من المسلمين العاقلين ولكنهم في حقيقة ، مغموسون في أفكار الجهالة.

"طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام" هذا هو المبحث الثاني من عناوين الكتاب؛

يريد المؤلف أن يبين ان لا يمكن إدراكها إلا ضمن التصور العام للإسلام حول الكون والألوهية والحياة والإنسان ، وباعتبار أن الإسلام يمثل تصورا شاملا ومتكاملا يعالج

مختلف مجالات الحياة. وهذا التصور الأصيل لا نجده عند " فلاسفة الإسلام " (ابن سينا، الفارابي ، ابن رشد ...) الذين قلدوا الفلسفة اليونانية ولم يتجاوزوها ، إنما الأصل هو القرآن والحديث والسيرة: حيث تتجلى الصورة كاملة متناسقة الكون كله قائم بالقسط ، والعدل بين مطالب الجسد ومطالب الروح، الفرد والجماعة ، والدنيا والآخرة ، الفرد والجماعة والطائفة والأمة والجيل والأجيال كلها يحكمها قانون واحد ذو هدف واحد؛ ان ينطلق نشاط الفرد ونشاط الجماعة غير متعارضين- لبناء الحياة إنمائها ، والتوجه بها إلى خالق الحياة ؛ ²³ . أي ليس للفرد طقوسه وللجماعة طقوسها ، وليس للدنيا دين وللآخرة دين، وليست العبادة وحدها والشريعة وحدها ، بل الإسلام وحدة متكاملة لا تقبل الفضل بين العبادة والمعاملة أو بين العقيدة والشريعة أو بين الدنيا والآخرة ... وعن هذه الوحدة الكبرى تصور التشريعات الاجتماعية والإقتصادية.

لهذا يرى سيد قطب أن العدالة في الإسلام هي " عدالة الإنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية . وليست مجرد عدالة إقتصادية محدودة، لأن الحياة في الإسلام ليست علاقات مادية مقطوعة ، وإنما هي " تراحم ، وتود وتعاون وتكافل ، بين المسلمين على وجه خاص وبين جميع الأفراد الإنسانية على وجه عام".

فنجد للعدالة الاجتماعية ركيزتان :

1- ركيزة الوحدة المطلقة المتناسقة بين مقومات الإسلام.

2- ركيزة التكافل العام بين الأفراد والجماعات.

فالوحدة الإسلامية ضد التجزيء والانتقاء، والتكافل ضد التظالم والطغيان، فلا يقبل الإسلام طغيان الفرد وطاقاته ومواهبه. لذلك أوجب حفظ كرامة الفرد ليستطيع ان يبدع ويستثمر كامل طاقته مقررًا مبدأ تكافؤ الفرص والعدل بين الجميع، ولكنه ترك مجالا للمناسبة والتفاضل بالجهد والعمل . لهذا لا يفرض الإسلام إذن المساواة الحرفية في المال لأن تحصيل المال تابع لإستعدادات متساوية ، فالعدل المطلق يقتضي ان تتفاوت الأرزاق ...مع تحقيق العدالة الإنسانية ²⁴ .

فالإسلام لا يجعل الحياة مجرد مطعم ومشرب وشهوات ، وإن كان يكفل الكفاية لكل فرد ، وإنما يحرم الترف والإسراف والربا يحرم الترف والإسراف والربا والاستغلال

²³ العدالة الاجتماعية في الإسلام : ص-26

²⁴ العدالة الاجتماعية في الإسلام: ص؛ 29

والأفراط في الميزات والجشع والفوارق ، لأنها مفسد إجتماعية وأخلاقية ولأنها مفسد روحية أيضا . تضيق للإنسان آخرته كفر دونه كفر وكجماعة وأمة .

فوجد دلائل عديدة من آيات القرآن الكريم لملاحظة البراهين عن عظمة الله وقدرته ، وحكمته الكاملة والكمال في تخليق الكائنات . وهو يميت ويحيي ليس له أولاد ولا له شريك ، كل شيء خلق الله وهو خالق الجميع هو مالك ورازق ومعبود ورب ومقدر ومدبر لكل شيء ، وأظهر الله الخواص والأفعال التي خلقت لا يزال قدوما من دائرتها. بالإجمال خلق الله في مقياس خاص. قرر الله الموت والرزق لكل شيء من قبل خلقه . لا يفرق الله في إنتظامه وصناعته أظهر الله من كل شيء من الإنسان إلى الحيوانات ، والنباتات والعناصر والأجرام والعلوية سبع سموات والنيران . ما خلق الله شيئا باطلا.

"وخلق كل شيء فقدره تقديرا"²⁵. "إنا كل شيء خلقناه بقدر"²⁶. "الذي خلق سبع سموات طباقا . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر . هل ترى من فطور ؟ ثم أرجع البصر كرتين ، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير "²⁷. "وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها"²⁸. "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلا له فإذا اصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون "²⁹.

ويبين فيه المؤلف أن مفهوم طبيعة العدالة الإجتماعية في الإسلام يدرك بمفهوم التصور الإسلامي عن الكون والألوهية والحياة والإنسان فإن للإسلام تصورا كليا متكاملا عن هذه الأربعة. وبهذه الصدد يمنح الكاتب طريق البحث في الإسلام للفرد ان يتبين أولا هذا التصور قبل ان يبحث اي رائ من عنده في الحكم أو في المال أو في علاقة الأمم والأفراد فإن هذه فروع فقط . والفروع تبحث بعد الأصول.

ثم ينتقد الكاتب فلاسفة الإسلام (ابن سينا ، الفارابي ، ابن رشد) ونظرياتهم ان التصور الإسلامي الصحيح لا يوجد عندهم ، فإنهم قلّدوا الفلسفة الإغريقية التي بعيدة من روح الإسلام ، والإسلام يوجد فيه التصور الكامل المقتبس من القرآن والحديث وسيرة

²⁵ سورة الفرقان : ٢

²⁶ سورة القمر : 49

²⁷ سورة الملك : 3-4

²⁸ سورة فصلت : ١٠

²⁹ سورة الروم : 48

النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير الكاتب إلى نقط عظيمة أنه مرت على الإنسانية مدة طويلة لا توجد فيها أي طريقة شاملة لتصور كامل يربط بين الخالق والمخلوقات.

فكلما جاءها رسول من الخالق بتصور كامل صحيح وافق منها بعض وأعرض كثير وعادت بجملتها إلى تصورات جاهلية منحرفة عن تصورات إلهية حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى بتصور كامل وشريعة شاملة لإقامة العلاقة بين الخالق والخلق بمعناه الواقع الحقيقي . وإذا كان الإسلام يتناول طبيعة تلك العلاقة فيقول سيد قطب أن تلك العلاقة بين الخالق والخلق هي الإرادة المباشرة التي تصدر عنها المخلوقات جميعا . وحفظ وتدبر فأتى الكاتب إستشهادا لهذا بآيات القرآنية مثل :

"إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون"³⁰ ؛ "يدبر الأمر يفصل الآيات"³¹ ؛ "ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه"³² ؛ "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون"³³ ؛ "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير"³⁴ .

هذا و يقول سيد قطب أن هذا الوجود وحدة متكاملة ولها حكمة بالغة تتناسق مع الخلقة والنظام والإتجاه. وكان الوجود صالحا ومساعدًا لوجود الحياة والإنسان فلا يكون عدوا لهما بل طبيعة لهذا الوجود يكون صادقًا للإنسان والحياة فإن طبيعة الوجود والإنسان أو الحياة لا تختلف إتجاهاتهما واحدة عن الإتجاهات الأخرى، وكل منها صادرة عن إرادة الخالق المباشرة التي أشرناه آنيفا. وإنه يرى أن نظام الحياة الإنسانية لا يستقيم بدون هذا التعاون والتناسق منهج الله وشرعه . لهذا تحقيقه في المجتمع واجب لصالح الإنسانية كلها . حتى تستخدم القوة على من ينحرف عن هذا النهج الإلهي.

التعاون والتعارف والتناسق هو الأصل في حدود منهج الله وشرعه . ومن أعرض على هذا الأصل فليرد بكل طريق ، لأن شريعة الله أولى بالإتباع في الكون من أهواء الأفراد والجماعات ، ويتفق مع غاية الكون الواحد . وقدم دليلا بآيات القرآنية :

³⁰ سورة يس : ٨٢

³¹ سورة الرعد : ٢

³² سورة الحج : 45

³³ سورة يس : 40

³⁴ سورة الملك : ١

"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض"³⁵ ؛ "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحدهما على الأخرى ، فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاتت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا"³⁶ ؛ "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"³⁷

إضافة إلى ذلك يذكر الكاتب هناك التعارض بين القوي الروحية والقوى المادية في فطرة الكون والناس ، فقدم الأمثال على هذه الفكرة هي المسيحية التي أسست الكنيسة والمجامع المقدسة. وكذلك هذه الفكرة وافقت مع الهندوكية والبوذية ، وفيها إختلاف بين الهندوكية والبوذية على خلاص الروح مرهون بكبت الجسد أو بتعذيبه أو بأفنائته أو على الأقل بإهماله والكف عن لذائذه .

وفي هذا الشأن يقدم سيد قطب مفهوما مجملا للإسلام . فنجد أن الإسلام هو دين التوحيد في الإلهية والأديان السابقة بالتوحيد من دين الله . هذا هو دين الوحدة بين العبادة ، والمعاملة ، والعقيدة ، والشرعية ، والروحيات ، والماديات في سياسة الحكم وسياسة الماء، في تقسيم أموال الغنيمة والمغارم وفي الحقوق والواجبات .

وأيضا يذكر في الآيات الآتية عن وجود الخلائق بحكم صدوره المباشر عن الإرادة المطلقة الكاملة ، الطبيعة من خلق الله وهي صديق لا تختلف اتجاهته عن اتجاهات الحياة والإنسان قد تقرر العقيدة الإسلامية أن الله رب الإنسان قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقا مساعدا متعاوناً . فأشار هناك إلى أهمية الخلائق وفائدتها للحياة الإنسانية.

"وجعل فيها رواسها من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها"³⁸ . "وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم"³⁹ . "والأرض وضعها للأنام"⁴⁰ . "هو الذي جعل لكم

³⁵ سورة المائدة : ٣٣

³⁶ سورة الحجرات : 9

³⁷ سورة البقرة : 251

³⁸ سورة فصلت : ١٠

³⁹ سورة النحل : ١٥

⁴⁰ سورة الرحمن : ١٠

الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه"⁴¹. "خلق لكم ما فى الأرض جميعا"⁴². "وزيّدنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا"⁴³. "ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا"⁴⁴.

و يكمل سيد قطب هذا العنوان بإشارة إلى حقائق الأموال وترتيبهن الإنفاق فى الإسلام ، كما يرتب فى الأموال حقوقا للفقراء بقدر حاجاتهم ، وبقدر ما يصلح المجتمع ، ويضمن له التكافل والتعادل والنماء ولذلك لا يغفل جانبنا واحدا من جوانب الحياة المادية والشعورية الدينية والدنيوية .

و" أسس العدالة الإجتماعية فى الإسلام" هذا هو المبحث الثالث من عناوين الكتاب؛ فيمهد المؤلف البارع أن الإسلام بطبيعته هو دين تنفيذ وعمل فى واقع حياتنا ولا دين دعوة فقط ، أن طبيعة نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية تجعل العدالة الإجتماعية عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية ، لا تقف عند الماديات والإقتصاديات .

ثم يذكر المؤلف عن معرفة الواقع الذي يخالف الفكرة الأساسية للإسلام ، فيقول ان الواقع هو حقيقة وليس واقع فرد ولا أمة ولا جيل، بل يعده الإسلام كالواقع المحدود الموقوف ، وأنه بعيد عن الأهداف إلى العدالة الإجتماعية .

وبعد هذا التمهيد المقتصر يبين المؤلف الأسس العامة التي أقام عليها الإسلام العدالة الإجتماعية هي :

1- التحرر الوجداني المطلق

2- المساواة الإنسانية الكاملة

⁴¹ سورة الملك : ١٥

⁴² سورة البقرة : ٢٩

⁴³ سورة فصلت : ١٢

⁴⁴ سورة النبأ : 6-16

3- التكافل الإجتماعي الوثيق

التحرر الوجداني :

ف نجد أن التحرر شعور نفسي باطن في الإنسان قبل أن يكون تشريعاً ملزماً. التحرر عقيدة تجمع بين الوجدان والواقع ، بين التشريع والتنفيذ، وقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة لسواه، ولا حاكمية لغيره، حتى لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فيشوه التحرر الوجداني بالضغط على الفرد وتخويفه وظلمه. والإسلام هو كفيل وحيد للتحرر الوجداني بالشعور الباطن والإمكان والواقع ولا يغفل عن هذا.

التحرر الوجداني من الجبن والخوف والشرك والطمع والكبر وعبادة المال والجاه والحسب والنسب وأتى بدليل من آيات القرآن الكريم :

" ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير"⁴⁵.

والقرآن الكريم يقترح علينا صوراً كثيرة لتحرر الوجداني أو عدمه ، كقارون مع فتنه المال والشراء حيث لم يتحرر.

وكذلك يشرح المؤلف هذه الأهداف واحداً بعد واحد، ويذكر بحثاً مقارناً على هذه المسألة بين المسيحية والشيوعية والإسلام، إن الإسلام بدأ بتحرر الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله، و إن السلطانة ، والموت والحياة والضر والنفع والرزق والشفاعة والملك كلها مسيطرة بيد الله تعالى . ويشير إلى قدرة الله الكاملة وإقرار كلمة التوحيد ، والايمان بالله ؛ وقد يجمع الكاتب الآيات القرآنية في تأكيد هذه العقيدة وتثبيتها وتوضيحها. كما قال الله تعالى :

"قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد"⁴⁶.

نعلم بهذه السورة صورة التوحيد في العقيدة الإسلامية وهو تعمق للحياة كلها ، وقيام الحياة على أساسها وإتخاذها قاعدة للمنهج الخلمي الواقعي في الحياة ، تبدو آثاره في

⁴⁵ سورة الحجرات : 12

⁴⁶ سورة الإخلاص

التشريع كما تبدو في الإعتقاد سواء وأول هذه الآثار أن تكون شريعة الله وحدها هي التي تحكم الحياة. فإذا تخلفت هذه الآثار فلا تكون عقيدة التوحيد قائمة ، فإنها لا تقوم إلا ومعها آثارها محققة في كل ركن من أركان الحياة . فهذه السورة إثبات وتقرير لعقيدة التوحيد الإسلامية ، وتعالج بها حقيقة التوحيد من وجه ⁴⁷.

في هذا الشأن آتي سيد بدليل من القرآن منها :

"قل: يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك

به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله " ⁴⁸.

فقد عنى الإسلام بتحرير وجدان البشرية من أن الأنبياء هم مظنة أن يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة تحريرا كاملا كما قال الله تعالى :

"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل. أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " ⁴⁹.

وإذ يعرض مشهد من مشاهد يوم القيامة ويطلب فيه عن عيسى بن مريم عما زعمه بعض الناس عنه من ألوهية . ويثبت براءة من هذا الزعم كما قال الله تعالى في القرآن :

"وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ! ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" ⁵⁰.

⁴⁷ تفسير في ظلال القرآن : ص/4840

⁴⁸ سورة آل عمران : 64

⁴⁹ سورة آل عمران : 144

⁵⁰ سورة المائدة : 116- 118

وكذلك يقدم الكاتب الآيات القرآنية في تأكيد هذه العقيدة وتثبيتها وتوضيحها ،
 لصلة إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في ألوهية أو ربوبية . فهذا أصل
 من اصول الإسلام ليست الوسائط بين الله وعباده جميعا ، ولا كهانة ولا وساطة ولكن
 يتصل إيمانه وتقوي ومعنوية . وظهر الإسلام هذا الحريص على تقوية هذه الصلة ، وعلم
 الإسلام تعليم الإستعانة بتلك القوة الكبرى آناء الليل وأطراف النهار . وأوضح سيد الصلاة .
 الصلاة تتصل المخلوق بخالقه ومقصودها التوجه الكامل بالقلب والفكر والجسد في وقت
 واحد إلى الله .

إذ يتصل العباد مع الله إتصالا كاملا فلم يتأثر بشعور الخوف على الحياة وعلى
 الرزق وعلى المكانة . الإسلام يحافظ العدل ويحقق للناس العزة والكرامة ويضمن حقوق
 الإنسان. هذا التصور متصل بالحياة. ويعلم الإسلام اصوله أن لكل إنسان حياة وموت
 مؤجل عند الله لا قدرة لمخلوق على أن ينقص الحياة ساعة . يقتبس الآيات القرآنية دليلا
 لهذا الأصول.

" وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ، كتابا مؤجلا " ⁵¹ " قل: لن يصيبنا إلا ما
 كتب لنا ، هو مولانا "

ويذكر سيد قطب عن الخوف على المركز والمكانة قد يكون عدلا للخوف من
 الموت والأذي ، والخوف من الفقر والعيلة . الإسلام حرص على أن يتحرر الفرد من هذا
 الخوف ، فلن يملك مخلوق لمخلوق في هذا الأمر شيئا كما في القرآن :

" قل: اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز
 من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير " ⁵² .

ثم يقدم الآية التي يجمع جميع اللذائذ والمطامح والرغبات ونقط الضعف في نفس
 الإنسان ويضع في الكفة الأخرى حب الله ورسوله ، وحب الجهاد في سبيله ، لتكون
 تضحية كاملة . والتخلص من أوحاق الشهوات كاملا ، كما قال الله تعالى :

⁵¹ سورة آل عمران - 145

⁵² (سورة آل عمران : 26)

" قل : إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم وأموال
أفتريتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله
ورسوله ، وجهاد في سبيله . فتربصوا حذّي يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي قوم
الفاستقين " ⁵³ .

المساواة الإنسانية :

في بيان المساواة الإنسانية ، يشير الكاتب إلى حقوق الإنسانية في الإسلام
بالخصوص حقوق المرأة . إن الإسلام يوفر ضمانات بروح كريمة خالصة وكذلك
الإسلام يمنع عن قتل عام ونهي بتخصيص عن قتل الأولاد . والإسلام دين وحيد الذي منح
المرأة حقوقها الروحية والمادية . ويقول سيد قطب مقارنا عن حقوق المرأة بين الغرب
والإسلام ، أن الغرب أخرج المرأة من البيت تعمل ، لأن الرجل هناك نكل عن كفالتها
وإعالتها ، وعندما خرجت المرأة في الغرب لعمل انتهز الغرب المادي حادثها ، واستغل
فرصة زيادة العرض يرخص من أجرها . وإذا طالبت المرأة بالمساواة كانت تعنى أولا
بالذات المساواة في الأجور لتأكل وتعيش . لمل لم تستطع هذه المساواة طالبت بحق
الانتخاب ليكون لها صوت إيجابي في تقرير تلك المساواة ولكن القوانين التي تحكم
المجتمع يسنها الرجل وحده .

وفي جهة أخرى ، نجد في الإسلام ؛ شريعة الله تعدل بين عباده رجالا ونساء .
وكذلك يذكر حالة المساواة للمرأة في فرنسا ، التي لا تمنح فيها حق التصرف في مالها إلا
بإذن وليها بل تمنحها حق الدعارة كاملا ، وليس وكذلك في الإسلام وهو يمنح المرأة حق
التصرف مالها ولا يمنح المرأة حق الدعارة مثلا بل حرمة للمرأة والرجل كذلك . وهذا قد
جعل الإسلام رعاية لكرامة الإنسان وشعوره ورفعا لمستوى العلاقات الجنسية فيما بينهم .

ثم يقول سيد قطب في هذا البحث عن نظرية الشيوعية في مسألة مساواة المرأة
بالرجل في العمل والأجر وغيرها مستويا . وقد تحررت المرأة وتكون لها لإجازة مثل حق
للرجال . إن حقيقتها هي نكول الرجل عن إعالة المرأة ، وإضطرارها بالعمل مثل الرجل
بغير تمييز حال ، فنجد هذه النظرية هي تكميلة لنظرية الغرب فحسب التي تفقد فيها معنى

روحي للبشرية . و لكل جنس من البشرية – رجلا كان أو امرأة – كرامة وحرمة ، لا يجوز أن تستظل ولا أن تلمز بأي وجه فهم فيه سواء بل تحفظ كل الحفظ ، في هذا الشأن قال الله تعالى .

"ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" ⁵⁴ ؛ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم . ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا من هن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم : الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون" ⁵⁵

في بيان المساواة الإنسانية ، يشير الكاتب إلى حقوق الإنسانية في الإسلام ، بالخصوص حقوق المرأة. أن الإسلام يوفر ضمانات بروح تكريمة خالصة وكذلك الإسلام نهى عن قتل عامة ونهى بتخصيص عن قتل الأولاد. والإسلام دين وحيد الذي منح المرأة حقوقها الروحية والمادية .

ويقول سيد قطب مقارنا عن حقوق المرأة بين الغرب والإسلام ، أن الغرب أخرج المرأة من البيت تعمل ، لأن الرجل هناك شكل عن كفالتها وإعالتها، وعنكما خرجت المرأة في الغرب لعمل انتهز الغرب الما جي حاجتها ، واستغل فرصة زيادة العرض يرخص من أجرها . وإذا طالبت المرأة المساواة ، كانت تعني أولا بالذات المساواة في الأجور لتأكل وتعيش . لما لم تستطع هذه المساواة ،

التكافل الإجتماعية:

⁵⁴ سورة الإسراء : 70

⁵⁵ سورة الحجرات : 11

اما في الثالث ذكر المؤلف تحت عنوان التكافل الإجتماعي كيف يتكافل بين الفرد وذاته فهو المكلف ان ينهى نفسه عن شهواتها وان يزكيها ويطهروا ان يسلك بها طريق الصلاح في الحياة ، ثم أثبت هذه الأقوال بالآيات القرآنية. كما قال الله تعالى :

" فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهواء ، فإن الجنة هي المأوى" ⁵⁶ .. " ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " ⁵⁷ ؛ ولا تلقوا أبدىكم إلي التهلكة" ⁵⁸ .

كذلك يجعل تكافل التبعة الفردية كاملة فكل إنسان وعمله – خير وشر، حسنة وسيئة - لا يجزي عنه احد في الدنيا الا في الآخرة. ثم يبين تكافل بين الفرد وأسرته القريبة، كالوالدين. وآتي بدليل القرآنية منها :

" وبوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أفّ ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة قل: رب إرحمهما كما ربياني صغيرا" ⁵⁹ .. " ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا علي وهن ، وفصاله في عامين أن أشكر لي ولي والديك" ⁶⁰ .. والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضارّ والدّة بولدها ولا مولود له بولده" ⁶¹

ويجعل التكافل العائلي في الإسلام مثلا بين الابناء والبنات وأداء حقوقهم، وكذلك يحفظ التكافل بين الفرد والجماعة ؛ كما قال الله تعالى :

"يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولإبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك . إن كان له ولد . فإن لم يكن له ولد ، وورثه أبواه فلأمه الثلث . فإن كان له إخوة فلأمه السدس ، من بعد وصية يوصي بها أو دين . أبواكم وأبناؤكم لا تدرون

⁵⁷ سورة النازعات : 38 - 41

⁵⁸ سورة البقرة : ١٩٥

⁵⁹ سورة الإسراء : 23 - 24.

⁶⁰ سورة لقمان : 14

⁶¹ سورة الأحزاب : 6

أيوهم أقرب لكم نفعا . فريضة من الله . إن الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصيبن بها أو دين "62 .. " يستفتونك . قل : الله يفتيكم في الكلالة: إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت لها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا أثنيتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين . يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم "63

فهناك يشرّح الكاتب عن تكافل الفرد والجماعة . وكل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص . وإحسان العمل هو عبادة الله . وكل فرد مكلف أن يرعي مصالح الجماعة مثل حارس لها . وموكل بها والحياة سفينة في خضم . والراكبون فيها جميعا مسؤولون عن سلامتها . فآتي سيد قصة السفينة كما بين في الحديث الشريف . وقرر الإسلام القانون علي رعية الفرد في المجتمع ، كما في الحديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عنه عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته أو الرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع راع ومسئول عن رعيته "64 .

ويقرّر الإسلام على الفرد بذاته عن الأمر بالمعروف وأن يزيل المنكر الذي يراه ، والأمة كلها تؤخذ وينالها الأذى والعقاب في الدنيا والآخرة إذا سكنت عن وقوع المنكر فيها ، وهكذا يفرض الإسلام التكافل الإجتماعي في كل صورة وأشكاله، تمشيا مع نظريته الأساسية إلي وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة. ويقول الكاتب في النهاية علي تلك الأسس الثلاثة أن العدالة الإجتماعية تستقيم بتحقيق العدالة الإنسانية.

والبحث الرابع "وسائل العدالة الإجتماعية في الإسلام" من عناوين هذا الكتاب، فيذكر سيد قطب فيه أولا ان الإسلام يعمل من داخل النفس وأن الإصلاح يحاول من أعماق

⁶² سورة النساء : ١١-١٢

⁶³ سورة النساء : 176

⁶⁴ رواه البخاري، باب الجمعة والقرى والمدن ، رقم: 893.

الضمير البشري. ولكن هذا المعنى لا يعتني بالمجتمع فلا يغفل أبدا عن الواقع العملي في محيط الحياة الإنسانية ولا عن حقيقة نفس البشرية .

فحينما تتحقق العدالة الاجتماعية في الإسلام كاملة فجعلها الإسلام عدالة إنسانية شاملة على ركنين : الضمير البشري من داخل النفس والتكليف القانوني في محيط المجتمع . فللوصول إلى الهدف ، أوجب الإسلام تهذيب النفس البشرية من جوانبها وفي جميع اتجاهاتها وملابساتها . وضيف الكاتب لحصول هذا التهذيب ذلك الخلق الذي أثنى به القرآن الكريم على نبينا صلى الله عليه وسلم . ثم يذكر عن الشهادة أنها أساس لإقامة الحدود إثبات الحقوق ، فأتى الكاتب بدلائل القرآنية لإستشهاد هذا القول. فهما أعني الخلق والشهادة كلاهما وسيلة خامة من وسائل التهذيب النفس البشرية.

وبهذا الصدد يختار الكاتب هناك موضوع الزكاة والصدقات لعلاقة القوية بالعدالة الاجتماعية في الإسلام . فيقول سيد قطب عن الزكاة أنها ركن من اركان الإسلام وضرورة من ضرورات الإيمان، وأتى بدليل لتأييد لهذا القول . وسيأتي في فصل آت صورا من التشريع الذي جاءت به شريعة الإسلام.

ويبرز الكاتب أن الزكاة وسيلة من وسائل الحصول علي رحمة الله، وشريعة إنسانية خالدة تعلقها أوامر الأنبياء قبل الإسلام، وعقوبة الزكاة علي غير مؤدينها . وعلي هذا الأساس يقرر الإسلام إلي الصدقة والبر، يجب في الإنفاق طوعا وإحتسابا، إنتظارا لرضاء الله وعوضه في الدنيا. وكذلك الإيثار صورة جميلة في نفوس أهل المدينة الذين إستقبلوا المهاجرين فأوؤهم وشاركوهم مالهم وبيوتهم في رحابة صدر وسماحة نفس، الصدقة تعد قرض الله ، وتطهير النفس، وبيّن عن الإمتناع علي الإنفاق في سبيل الله هلكة. منع الخير إعتداء، والبر يؤدي غلي الجنة ، والكف عن البر يؤدي إلي النار ويسلك صاحبه مع الكفار. إهتم الإسلام عن إعطاء الصدقة غير محدد بنصاب . وذكر حديثا عن الصدقة : " عن أبي أمامة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن

آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك "

ثم يبحث هناك فضائل الصدقة في إعطاء حقوقها ونقصانها . إعتبر الإسلام حرصهم لا يدفعهم علي الأموال والأولاد إليه، وهذه فتنة لهم وإختبار، كما قال الله تعالى :

" إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم ، فأتقوا الله ما أستطعتم ، وأسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" ⁶⁵

أوجب النبي صلعم الصدقة علي كل مسلم علي كل حالة كما قال النبي :

" علي كل مسلم صدقة . قالوا فإن لم يجد ؟ قال : فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا : فإن لم يستطع أن يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال فيمسك عن الشر فإنه له صدقة" ⁶⁶

يختص الإسلام مصارف الإنفاق في سبيل الله منها الجار، وصاحب بالوالدين والأقربين، واليتامي والمساكين والمسافرين.

قد يذكر سيد هناك فضائل الصدقة وآتي بدليل من القرآن منها :

" مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذي لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذي والله غني حليم. يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى، كالذي ينفق ما له رياء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب، فأصابه وابل فتركه صلدا، لا يقدر أن علي شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم أبتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة ، أصابها وابل فآنت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير. أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنان تجري من تحت الأنهار ، له فيها من الثمرات ، وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فآتقت . كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون.

وأما العنوان "سياسة الحكم" وهي إحدى من وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام

. فسياسة الحكم هي لما كانت العدالة الاجتماعية في الإسلام تقوم على ركيزتين :

1- التكليف القانوني داخل المجتمع

2- والضمير البشري داخل الفرد فهي عدالة شاملة ، وتتطلب وسائل من نفس

طبيعة اي :

⁶⁵ سورة التغابن : 15- 16
⁶⁶ الشيخان

وازع فردي : الرحمة ، الصدقة ، التسامح ، العطف ، الإيثار.

وازع السلطة التشريعية : الأحكام القانونية والتنفيذ الحكومي.

يحرم الإسلام الإحتكار والإدخار والبخل والشح والربا وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة والإكتناز بهذين الوازعين. وبالتالي فلا عدالة شاملة إلا في إطار الحكم الإسلامي. وينتقد سيد قطب تلك المحاولة المنهزمة التي تبحث فقط عن التشابه بين الإسلام والنظم البشرية . وحقيقة ان الإسلام لا يقارن بنظام من تلك الأنظمة، فهو نظام مستقل متكامل... انه يقوم على اساس ان حاكمية الله وحده. وسائر الأنظمة تقوم على اساس الحاكمية للإنسان فهو الذي يشرع لنفسه⁶⁷.

وكذلك أن الإسلام ليس نظاما من الأنظمة البشرية وهو خليطا منها " وليس مستمدا من مجموعها" وان كان قد يحدث في تطور النظام البشرية ان تلتقي بالإسلام تارة، وأن تفرق عنه تارة إلا انه يختلف عنها في الأصل والصميم .

يقوم نظام الإسلام حسب سيد قطب على فكرتين اساسيتين هما :

1- **أوحدة الإنسانية :** في الجنس والطبيعة والنشأة والمساواة المطلقة بين جميع بين الإسلام.

2- **عالمية الإسلام :** هو النظام العالمي العام " الذي لا يقبل الله من أحد نظاما غيره،⁶⁸ لان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة .. لكن ذلك لا يعنى اكراههم على الدخول في الإسلام بل هم أحرار، والحكم الإسلامي، يضمن للجميع الوسواة المطلقة والتكافل التام،⁶⁹ مسلمين أو غير مسلمين. وذلك لأنه ينطلق من قاعدتين أساسيتين هما:

أ- **قاعدة الحاكمية :** الحاكمية لله وحده في الخلق والمشيئة والمنهج والتشريع ولا وقع الناس في الشرك أو الكفر، وبناء على هذه القاعدة لا يمكن ان يقوم البشر بوضع أنظمة الحكم وشرائعه وقوانينه من عند أنفسهم . ومنه على الحكم والمحكوم استحضار الرقابة الإلهية في كل تصرف.

⁶⁷ العدالة الإجتماعية في الإسلام : ص- 76

⁶⁸ المرجع السابق : 78

⁶⁹ المرجع السابق : 85

ب- **قاعدة العدل** : أي على الحكام ان يحكموا بعدل الإسلام " إن الله يأمر بالعدل والإحسان" وعلى أساس ذلك تجب طاعة المحكومين لهم، ولا طاعة في غياب الحكم بالعدل، لأن ولي الأمر في الإسلام لا يطاع لذاته، وإنما بطاع لإذعائه هو لسلطان الله وإعترافه له بالحاكمية ، ثم لقيام على شريعة الله ورسوله ث.. ثم تنفيذه لهذه الشريعة ، وإلا شستحق السمع والطاعة. إذن فالحكماالإسلامي قائم على الاختيار الحر من المسلمين كافة دون ان يتقيدوا لولاية عهد أو وراثة ملك، ومن لم يرضوه حاكما عليهم، ولا طاعة يلزمون بها. وحتى بعد إختيار الحاكم بالعدل فهو ملزم باشورى (وشاورهم في الأمر) لان " الشورى" اصل من اصول الحياة في الإسلام، وتتجاوز الحكم إلى باقي مظاهر السعي البشري.

وأما العنوان " سياسة المال" فيكتب سيد قطب عنه ان سياسة المال في الإسلام تقوم على تحقيق العبودية لله وحده، وذلك بالخضوع لشرعه حتى تتحقق مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة ، وذلك باعتماد وسيلتين إثنين، يقوم عليهما الإسلام في تحقيق أهدافه جميعا وهما :

- 1- التشريع : أى التشريع المالي الذي يرمي إلى تحقيق المجتمع الصالح.
- 2- التوجيه : أى توجيه التداول المالي لتطویر الحياة البشرية إلى الأحسن.

يقول سيد قطب الإسلام يحفظ الملكية الفردية ويعاقب الإعتداء عليها بأشد العقوبات ، لكنها ليست حرية مطلقة على حساب مصلحة الجماعة، بل هى حرية تصرف وإنتفاع تصب في بناء المجتمع التكافلي التكاملي الذي يحارب الترف والحرمان في نفس الوقت (الزكاة والصدقة) وتخضع لمقومات الشرع سواء في تملك المال أو صرفه ، التوسط بلا إسراف ولا تقصير، أو تنمية تحريم الربا والإحتكار.

ويخلص سيد قطب رحمه الله إلى ان سياسة المال في الإسلام تقوم على قاعدتين

هما:

- 1- قاعدة الإستخلاف : المال مال الله، والناس مستخلفون فيه بشرط حفظ شريعة الله فيه، وكل تجاوز للشرط نقض للإستخلاف.

2- قاعدة التملك المشروط : للفرد حق التملك والإستثمار بشرط الخضوع للشرع وبشرط التكافل الجماعي.

ثم يذكر المؤلف تحت هذا العنوان الرئيسي عن مختلف الملكية الفردية للمال بشيء من التفصيل .

حق الملكية الفردية : أن الإسلام يثبت حق الملكية الفردية للمال ويجعل قواعد تحفظ هذا الحق لصاحبه هو صيانتة له عن السارقة أو النهب والسلب وغيرها ويجعل له حق التصرف في البيع والرهن والهبة وغيرها من التصرفات حتى جاء في الحديث "من قتل دون ماله فهو شهيد". وجزالك نجد حق الإرث والتوريث مثل حق الملكية كقوله تعالى كما قال الله تعالى :

"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون " ... "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " .. " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن أمرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك .. الخ "

طبيعة الملكية الفردية :

وهو أن المال مال الله ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله ، والفرد هو الوكيل عن الجماعة في هذا المال ، وأن حقيقة الملكية المال الفردية هي ملكية التصرف والإنتفاع . لأن غذا سفه التصرف يرد المال إلى الجماعة مباشرة . وكذلك تتحقق العدالة الإجتماعية كاملة في الإنتفاع بهذا المال . ولإستشهاد هذه النرية الدقيقة يأتي الكاتب بآيات القرآنية :

يبحث سيد قطب طبيعة الملكية الفردية لتحقيق مصلحة الجماعة بنفس الدرجة التي تتحقق بها مصلحة الفرد المالك . ويبينها مبدأين لتقرير تلك المصلحة :

المبدأ الأول : وهو أن المال مال الله ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله ، والفرد هو الوكيل عن الجماعة في هذا المال . وأن الحقيقة الملكية المال الفردية هي ملكية التصرف والإنتفاع . ولأن اذا سفه التصرف يرد المال إلى الجماعة مباشرة . وكذلك تتحقق العدالة الإجتماعية كاملة في الإنتفاع بهذا المال . ولإستشهاد هذه النظرية الدقيقة يأتي الكاتب بآيات القرآن :

" آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه" ⁷⁰ . " وأتوهم من مال الله الذي آتاكم" ⁷¹ . " ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، وأرزقوهم فيها وأكسوهم" ⁷² .

المبدأ الآخر : إن الإسلام يكره إنحباس المال في أيدي فيئته من الناس مع تداول بينهم غير تجاوز إلى الآخر ، يمكن أن نذكر دليلا من آية القرآن :

" كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" ⁷³ .

لقد وجدنا ان الكاتب البارع كان يذكر عن الملكية الفردية للمال مع بيان مبادئه وطبائعه ؛ والآن يبحث عن وسائل التملك الفردي للمال تحت عنوان سياسة المال من هذا الكتاب . فيذكر عشر وسائل للتملك واحدا تلو آخر؛ وهي :

أولا: الصيد ؛ وهو الوسيلة البدائية الأولى في حياة البشرية فصيد السمك واللألي والمرجان والأسفنج وما إليها موارد ضخمة من موارد الدول والأفراد وصيد الطير والحيوان هواية وتجارة.

ثانيا : إحياء الموات من الأرض التي لا مالك لها .

ثالثا : إستخراج شيئا من الركاز؛ مثل الذهب والفضة والبترول وغيرها وهو اربعة أخماس والخمس زكاة .

رابعا : تملك المال تصنيع المادة الخامة لتفي بحاجة حيوية ، أو بتحسين وظيفتها بحيث تؤدي منفعة أكبر وقيمة العمل .

خامسا : التملك بالتجارة ؛ التي تشتمل مراحل متعددة قد يقوم بها كلها فرد واحد أو أفراد متعددون بشرط أن تنقل الأشياء الخامة أو المصنعة من يد إلي يد .

سادسا : التملك الفردي بالعمل باجر لأخرين. فالإسلام يحترم هذا العمل ويدعو إلي أداء أجره معجلا كاملا غير منقوص ويأتي الكاتب بدلائل من الكتاب والسنة . قال الله تعالى :

" فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه "

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم –

" ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده" ⁷⁴ .

⁷⁰ سورة الحديد : 7

⁷¹ سورة النور : 33

⁷² سورة النساء : 5

⁷³ سورة الحشر : 7

" أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه "

سابعا : التملك بالغزو؛ وهو كل ما مع القتل المشترك الذي يقتله مسلم في حرب من حروب الدين

ثامنا : تملك بعض الأرض بتخصيص السلطان لفرد أو أفراد اذا لم يكن لتلك الأرض مالك . فإن النبي صلى الله عليه وسلم . أقطع أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أرضا وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده لما كان مكافئة على خدمة للإسلام .

تاسعا : التملك بكون الإنسان واحدا من أصحاب مصارف الزكاة ، التي يشرع لها الإسلام في وجوه معينة وخاصة بعد ان يكون محتاجا لحياته.

عاشرا : التملك للمال لعدة صور العمل الذي بذل له الإنسان عقليا أو أعضاليا ، فهو لا يجوز في الإسلام . مثلا السلب والنهب والغصب وغيره فإن كلها حرام لا يعترف بها الإسلام.

طرق تنمية الملكية :

يذكر سيد قطب عن مختلف طرق تنمية الملكية وحكمه في الإسلام . ويبحث فيها أن صاحب المال كيف يتصرف أمواله . الأسلام يجوز لصاحب المال لتنمية أمواله في الحدود المشروعة. وطرق تنمية الأموال التي حرم الإسلام وهي : الغش والربا واكل الأجور والإحتكار وإستغلال الحاجة والإبتزاز والنهب والسلب والإعتصاب. فنجد أن الكاتب يبين حكم الإسلام وحكمته في وسائل تنمية المال . وإن وراء مصلحة الفرد ومصلحة الجماعات ، فيقول ان لكل فرد حرية في تنمية أمواله ، ولكن في الحدود المشروعة ؛ فلصاحب المال يباح له ان يفلح الأرض ويحول المادة الخام إلى مصنوعات وإن يتجر وغيرها . ويبين حكم الإسلام وحكمته في بعض وسائل تنمية المال بشيء من التفصيل .

1- **الغش :** وهو وهو كتمان عيب السلعة والعملة . فهو يحرمه الإسلام وربحه حرام،

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من غش فليس مني "

وحكمة تحريمه أن الإسلام يريد منع ضرر وتحقيق التعاون بين الناس ولكن الغش

خصلة قبيحة تلزم قضاة الضمير والإضرار ومنع الصقة من صدور الناس فلا

تعاون فيما بينهم .

2- **الإحتكار** : وهو إحتباس الشيء وحفظه انتظارا لغلائه وبيعه بالكثير فهو حرام – لا يعترف به الإسلام وسيلة من وسائل تنمية المال وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
" من إحتكار فهو خاطئ "

فإن الإحتكار ضرورة الناس أهدار لحرية التجارة والصناعة ، وقد قيع أحيانا أن يسد المحتكر الموارد وان يتلف البضاعة الفائضة، حتى يتمكن من فرض سعر إجباري ؛ وفي ذلك إعدام أو نفض في الأرزاق والأقوات العامة التي أتاحها الله للإنسان من الأرض .

3- **الربا** : معنى الربا في اللغة الفضل والزيادة وفي الإصطلاح هو فضل خال عن عوض شرط لأحد المتعاقدين . وفي علم الإقتصاد معناه المبلغ يؤديه المقترض زيادة على ما إقترض تبعاً شروط خاصة ، فهو حرام في الإسلام . قال الله تعالى :
" الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فأنتهى فله ما سلف وأمره إلي الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " ⁷⁵ . " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأنذروا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " ⁷⁶ .

يبين الكاتب في علاقة الربا حكمتان وهي : أولها؛ التعاون في الإسلام أصل من اصول المجتمع الإسلامي . يهدمه الربا ويوتن أساسه . لذلك يحرمه الإسلام . وثانيها ؛ أن الربا وسيلة لتضخيم رؤوس الأموال تضخيماً شديداً . يحصله بغير الجهد والعمل مما يجعل طائفة من القاعدين يعتمدون على هذه الوسيلة وحدها في تنمية أموالهم وتضخيمها فيشع بينهم لترهل والبطالة والتراف على حساب الكادحين الذين يحتاجون للمال فيأخذون بالربا في المصيبة. ويكون عن ذلك مرضان إجتماعيان خطران ؛ وهما تضخيم الثروات إلى غير حد ، وتفريق الطبقات علواً وسقلاً بغير قيد .

⁷⁵ سورة البقرة - ٢٧٥

⁷⁶ سورة البقرة - ٢٧٨-٢٨٩

فيرغب الإسلام إعطاء القرض وآداءها . وينصر الله الذين أرادوا أن يؤدوا دينهم وقررت الشريعة الإسلامية لتصدق. هكذا يحرص الإسلام علي رد الحقوق لأصحابها ، حرصه علي إعانة المضطر والتيسير عليه في الأداء ، فيجمع الأمر من أطرافه، ويضمن المصالح جميعا ، ويعدل في القسمة بين الحقوق والواجبات .

طرق الإنفاق :

لحصول على مجرد لدينا قدرة على معرفة ، عن طرق تنمية الملكية مع حكمها وحكماتها . الآن نجد أن سيد قطب يبحث فيها عن طرق إنفاق المال في الإسلام . إن الإسلام تنقص بعض صور للإنفاق ومدح في بعض صورتها . يكره الإسلام البخل والإسراف لأنهما يضران على الفرد والجماعة كما قال الله تعالى:

"ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا"
⁷⁷ . " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " ⁷⁸.

ويريد الإسلام ان يقوم الحياة تجملا وبهيجة بغير لهو وإسراف . لا يقبل الإسلام الزهد والحرمان والتزمت ولكن يأمر الناس بأن يتزينوا الزينة اللائقة . وكذلك الإسراف حرام للفرد والجماعة في الإسلام. ولكن في حالة إنفاق في سبيل الله ليس إسرافا . إنما الإسراف هو في الإنفاق على النفس وهذا ما حرمه الإسلام. الإسلام يحض الناس على التمتع بطيبات الحياة ويكره أن يحرموها على أنفسهم وهي لهم حلال ، ويدعوا جعل الحياة بهيجة مقبولة لا قائمة ولا منبوذة .

فألقرآن يصف المترفين أحيانا بسقوط الهمة وضعف القوة وهبوط الأريحية : "
 وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ، أستاذنوك أولو الطول منهم وقالوا
 ذرنا نحن مع القاعدين " ⁷⁹.

يشير سيد قطب إلي الواقعات القرآنية كيف يكفرون المترفون الله وينكرون رسلهم ولا يوقنون الآخرة يقدمون دليلا أن رسلا بشر مثلهم ويأكلون ويشربون كما يأكلون ويشربون المنكرون في حياة الدنيا. فيأتي الله العذاب عليهم وفنا الله فنا الحشرات :

⁷⁷ (سورة الإسراء : ٢٩)

⁷⁸ (سورة الأعراف : ٣١)

⁷⁹ (سورة التوبة : 86)

" وما أرسلنا في قرية من نذير، إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون " ⁸⁰.
 "وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ، وأترفناهم في الحياة الدنيا
 ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ، ولئن أطعتم
 بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون" ⁸¹. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
 السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، وألعنهم لعنا كبيرا " ⁸².

فريضة الزكاة :

يجلب سيد قطب ببيان الزكاة تحت بيان طرق الإنفاق . وهي ركن الإجتماعي
 البارز من الأركان الإسلام . إنها أهم شيء في سياسة المال في الإسلام. بعد تحقيق عن
 الزكاة مع أهميتها وحكمتها وفضائلها وحكمها ومصارفها نود أن نقول أن الزكاة هي
 عبادته المفروضة. ولقد ذكرها الله في كثير من الآيات القرآنية مقترنة بالصلاة كما قال الله
 تعالى :

" أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " ⁸³.

لقد شرع الله طهارة للنفس والمال، ولقد شدد الله وعيده لمن يقصون في إخراج
 الزكاة . **معنى الزكاة :** هي الحق المفروض في أموال الأغنياء لإخوانهم الفقراء وغيرهم
 ممن يستحقون الزكاة بشروط مخصوصة .

حكم الزكاة : هي فرض علي كل مسلم ومسلمة لا فرق بين أحد منهم إمتلاك مقداراً معيناً
 من الكال حدّده الشرع أو زاده عليه . وهذا مقداراً الذي تجب فيه الزكاة يسمى النصاب.
الحكمة في إخراج الزكاة: الحفاظ علي المال وتحسينه من تطلع الأعين عليه. ووصول
 الأيدي الأيمة إليه. مواساة الفقراء، ففيها مظهر من مظاهر التكافل الإجتماعي بين المسلمين
 وإرساء قعاد الحب والإخوة بين الناس . محاربة الشح والبخل. والإكتناز وتعويد الأغنياء
 علي البذل والعطاء. كما أنها تدفع الإنسان إلي إستثمار ماله وزيادته. حكم مانع الزكاة:
 الزكاة ركن من أركان الدين فمن تركها وهو ينكرها، فقد كفر بالله ورسوله وخرج عن ملة
 الإسلام من بخلا وشحا فقد إستحق غضب الله وعذابه الأليم في الآخرة. علي من تجب
 الزكاة : تجب الزكاة علي المسلم ، البالغ، والعاقل، والحر إذا ملك نصاباً ملكاً تاماً من تجب

⁸⁰ سورة السبا: 38

⁸¹ سورة المؤمنون: 33 - 34

⁸² سورة الأحزاب : 67- 68

⁸³ سورة البقرة : 143

فيه الزكاة. وحال عليه الحال فيما يشترط فيه ذلك ويذكر هناك عن أموال التي تجب الزكاة.

الذهب والفضة: تجب الزكاة فيها إذا بلغ النصاب ونصاب الذهب أن يبلغ عشرين ديناراً (أي ما يعادل 58 جراماً تقريباً) ونصاب الفضة أن يبلغ مائتي درهم (أي ما يعادل 426 جراماً) ويكون مقدار الزكاة فيها ربع العشر (أي 2.5 %)

الزكاة الحلي: ولا تجب الزكاة في الحلي الذهبية أو الفضة التي تستخدمها المرأة للزينة أما إذا أخذت المرأة الحلي للإستثمار فتجب فيه الزكاة .

زكاة العملات الورقية: تخرج الزكاة عن العملات الورقية إذا بلغت قيمتها ثمن نصاب الذهب أو نصاب الفضة وفي زماننا أصبح التفاوت بين نصاب الذهب ونصاب الفضة كثيراً، لذلك يرى بعض العلماء أن يخرج المزكي زكاة ماله بإعتبار نصاب الفضة فهذا أولى لمصلحة الفقراء.

زكاة التجارة: إذا كان الرجل يناجر في تجارة، فإنه يأتي في نهاية العام الهجري فيضم عروض التجارة بعضها إلي بعض، وأن اختلفت أجناسها ، ثم يقدر ثمن بضاعته وقت إخراج الزكاة ، لا ثمن شرائها ، فإن وجدانها بلغت نصاباً أخرج زكاتها بمقدار ربع العشر.

زكاة الزروع والثمار: " يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ⁸⁴ . قال إمام أبو حنيفة أن الزكاة تجب في ما يقصد بزراعته نماء الأرض ، إلا الجطب و القضب والحشيشو الشجر الذي ليس له ثمر.

زكاة الإبل: إذا إمتلك مسلم خمسة من الإبل فزكاتها شاة. وبعد ذلك يخرج شاة عن كل خمسة من الإبل ، ففي العشرين من الإبل أربع شياه. فإذا بلغت الإبل خمسا وعشرين فيخرج زكاة ناقه عمرها سنة، وإذا كان عدد الإبل من ستة وثلاثين إلي خمسة وأربعين يخرج الزكاة ناقه عمرها سنتان، وإذا كان عدد الإبل من ستة وأربعين يخرج الزكاة ناقه عمرها ثلاث سنين. وإذا كان عدد الإبل من واحد وستين إلي خمسة وسبعين يخرج الزكاة ناقه عمرها أربع سنوات ، وبعد ذلك تكون الزكاة في كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة.

زكاة البقر والجاموس: إذا إمتلك الإنسان ثلاثين بقرة أو جاموسة فيخرج الزكاة بقرة عمرها سنة (يسمي تبيعة أو تبيعا إذا كان ذكراً) إذ يجوز إخراجها من النوعين ، وإذا كان

⁸⁴ سورة البقرة: 267

عدد البقر أربعين يخرج الزكاة بقرة عمرها سنتان وتسمى (مسنة) وبعد ذلك يخرج الزكاة عن كل ثلاثين بقرة تبعة وعن كل أربعين مسنة،

زكاة الغنم والضأن : إذا إمتلك أحد أربعين غنما أو ضانا فزكاتها شاة وإذا كانت أربعين إلى مائة وعشرين شاة وحال عليها الحول ، يخرج زكاة شاة واحدة ، وفي مائة وإحدى وعشرين إلى مائتين ففيها شاتان .

يذكر الكاتب هناك عن مصارف الزكاة . تصرف الزكاة إلى ثمانية أصناف ، ذكرهم الله تعالى في قوله: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" ⁸⁵.

الفقراء : هم الذين يملكون أقل من النصاب أو يملكون نصابا مستغرقا في الدين، أي لا يجدون ما يكفي حاجتهم الأساسية فتصرف لهم.

والمساكين : هم الذين لا يملكون شيئا . وهم بطبيعة الحال أجدر بالعطاء من الفقراء .
والمعاملون عليها: وهم جباتها وإن كانوا هؤلاء أغنياء يعطون جزاء العمل ، فهو راتب الوظيفة وذلك داخل في نظام الجهد والأجر ، لا في باب الحاجة وسدها .

والمؤلفة قلوبهم: من هم قد دخلوا في الإسلام حديثا لتقية قلوبهم وإجتنا من عداهم.
وفي الرقاب : وهم الأرقاء المكاتبون الذين يسترودون حريتهم نظير قدر من المال متفق عليه مع مالكيهم تيسير لهم لينالو الحرية.

والغارمين : وهم الذين إستغرق الدين ثرواتهم علي الأ يكون هذا الدين في معصية فلا يكون الترف وما يشبه سببا فيه . وإعطائهم قسطا من الزكاة فيه سداد لديونهم ، وتخليص لرقابهم منها.

وفي سبيل الله : وهم مصرف تحدده الظروف منه تجهيز المجاهدين ، وعلاج المرضى، وتعليم العاجزين عن التعليم، وسائر ما تتحقق به مصلحة لجماعة المسلمين والتصرف في هذا الباب يتسع لكل عمل إجتماعي .

وابن السبيل : وهو المنقطع عن ماله الذي لا يجد ما ينفق ، كالمهاجرين من الحروب والغارات والإضطهاد الذين خلفوا أموالهم وراءهم، ولا سبيل لهم إلى هذه الأموال .

فرائض غير الزكاة :

ثم يبين سيد قطب في بيان " فرائض غير الزكاة " وهي الحد الأدنى المفروض في الأموال ، حين لا تحتاج إلى غير حصيد الزكاة . فإذا حين لا تفي ، فإن الإسلام لا يعطي الإجازة أن يكتف اليدين ، بل يمنح الإمام الذي ينفذ شريعة الإسلام ، وهو يأخذ منها بقدر معلوم – في الحدود اللازمة للإصلاح . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 " في المال حقا سوى الزكاة "

فيكتفي الكاتب في بيان حدود " المصالح المرسلّة " وسد الذرائع " وهما :

المصالح المرسلّة : إن المصالح المرسلّة التي ما كان لها نصا خاصا الذي يشهد لنوعها بالإعتبار تسمى المصالح المراسلة. ويذكر الكاتب أن إعتبار المصالح إختلاف على هذه المصلحة المرسلّة . وإنقسمت هذه النظريات على أربعة أقسام .

1- **إختلاف العلماء الشافعية ؛** وهم الذين لا يأخذون بالمصالح المرسلّة التي لا

يوجد شاهد من الشارع بإعتبارها . أن يأخذوها من غير قياس

2- **إختلاف العلماء الحنفية :** وهم الذين يأخذون بالإستحسان من القياس ، لان

مجيء المصالح في إستنباط الحنفية أكثر من الشافعية . وأن كان القدر من ذاته قليلا ، حتى لم تحسب تلك المصالح أصلا من أصولهم لندرة إعتدادهم المجرد عليها.

3- **في أخذ الغلاة بالمصالح ،** حتى قدموا المصلحة على النص في معاملات الناس

، وإعتبروها مخصصة له ، بل إعتبروها مخصصة للإجتماع . وقد قال هذا القول الطوفى .

4- **وهم المعتدلون :** الذين إعتبروها المصالح المرسلّة في غير موارد النص

المقطوع به ، وأولئكهم أكثر المالكية .

فيقدم سيد قطب دلالات عديدة في مسألة المصالح المرسلّة من الوقائع التي وقعت

في العهد الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما أجمع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . يشير الكاتب إليها كما يلي :

1- جمع القرآن وتدوينه في المصحف .

2- وإتفاق الصحابة على حد شارب الخمر ثمانين جلد . إذ رأوا الشرب ذريعة إلى الإقتراء ، وقذف المحصنات بسبب كثرة الهذيان .

3- وإتفاق الخلفاء الراشدين على تضمين الصناع ، مع أن الأصل أن ايديهم على الأمانة . ولكن وجد أنهم لو لم يضمنوا لاستهانوا بالمحافظة على أمتعة الناس وأموالهم .

4- ومشاركة عمر رضى الله عنه الولاة الذين يتهمهم في أموالهم لإختلاط أموالهم الخاصة بأموالهم التي استفدوها بسلطان الولاية .

5- وإن عمر رضى الله عنه أراق اللبن المغشوش بالماء ، تاديباً للغاش ، وذلك من باب المصلحة العامة لكيلا يغشوا الناس .

6- إن عمر رضى الله عنه قتل الجماعة بالواحد إذا إشتراكوا في قتله . لأن المصلحة تقتضى ذلك ، إذ لا نص في الموضوع ووجه المصلحة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمدا .

فيضع الكاتب إضافة إلى الوقائع المذكورة فكرة الذرائع تفصيلاً . نجد أن معناها الوسيلة ومعنى سد الذرائع رفعها . وسيلة المحرم محرمة ، وسيلة الواجب واجبة . فالفاحشة حرام . والنظرة إلى عورة الأجنبية حرام . لأنها تؤدي إلى الفاحشة .

والنظر في المآلات لا يكون مقصد العامل ونيته ، بل نتيجة العمل وثمرته ، وبحسب النية يثاب الشخص أو يعاقب في الآخرة ، وبحسب النتيجة والثمرة يحسن العمل ، أو يقبح ، ويطلب ويمنع . لأن الدنيا قامت على مصالح العباد ، وعلى القسطاس والعدل والقصد الحسن . فمن سب الأوثان مخلصاً لله سبحانه وتعالى فقد إحتسب نيته عند الله في زعمه . ولكن الله نهى عن السب لغير الله .

وقد ثبت أصل الذرائع بالقرآن والسنة . أما القرآن فقوله تعالى : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فسيبوا الله عدوا بغير علم . وأما السنة فإن اقوال النبي صلى الله عليه وسلم .

منها كفه – صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين ، لأنه ذريعة إلى قول الكفار : ان محمداً يقتل أصحابه .

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المقترض عن قبول الهدية من المدين حتى يحسبها من دينه ، ليتخذ ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأهل الهدية فتكون ربا .

ومنها نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تقطع الأيدي في الغزو ولئلا يكون ذريعة إلى إتجاه المحدود إلى المحاربين فيفر إليهم ؛ ولمثل ذلك لا تقام الحدود في الغزو حتى لا تدفع حرارة الضرب إلى الضلال.

ومنها أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة بئنا في مرض الموت ، حيث يتهم بقصد حرمانها من الميراث ، وإن لم يثبت نية الحرمان ، لان الطلاق ذريعة . ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم منع المتصدق شراء صدقته ولو وجدها تباع في السوق . سدا لذريعه العود فيما خرج عند الله ولو بعوضه .

ثم يشير إلى ان مبدأ المصالح المرسله ، ومبدأ سد الذرائع ، يمنحان الذي ينفذ شريعة الله سلطة واسعة لمحافظة كل هذه المضار الإجتماعية . بما في ذلك التوظيف في الأموال . رعاية للمصالح العام للأمة وتحقيق العدالة الإجتماعية الكاملة .

فيكتفي الكاتب بالقول بأن القواعد الأساسية لهذا النظام تتلخص في :

1- الإستخلاف المشروط : فالله سبحانه هو الخالق المالك لكل ما في الأرض من أقوات وأرزاق وأموال ، وقد استخلف في الأرض " الإنسان " كجنس على شرط ان يتصرف في هذا الملك بشريعة الله ، فعندما خروج على هذا الشرط فهو مبطل للتصرف ، نافض لعهد الإستخلاف .

2- أن الأستخلاف العام : الأفراد يحصلون على " الملكية الفردية " "مقابل " "عمل" ومن ثم يملكهم الشارع وهو الله سبحانه . قسما معيننا من هذا المال . ويحوط هذا هذا الحق بكل الضمانات التي تجعل الفرد عزيزا كريما مطمئنا على رزقه ، كي يتفرغ للقيام بواجبه في رقابة تنفيذ شريعة الله .

3- أن الملكية الفردية : مع أنها قاعدة هذا النظام ، مقيدة بشروط في وسيلة التملك وسيلة التنمية وسيلة الإنفاق . تتحقق بها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وتنتهى عن طغيان الفرد أو الجماعة .

4- ان التكافل : مع الإحتفاظ بقاعدة الملكية الفردية هو قاعدة الحياة في الأمة المسلمة ، وهذه القاعدة تفرض تكاليف على الملكية الفردية .

5- أن العدالة الإجتماعية تتحقق في أي نظام من صنع الإنسان فيه الخطأ .

"من الواقع التاريخي في الإسلام" هذا هو المبحث السابع من عناوين الكتاب ؛ يبين سيد قطب أن الإسلام ليس "فكرة شاعرية خيالية، ومثل وجدانية تدركه الأشواق وتقتصر دونه الأعمال" إنما هو واقع عملي حقيقي، بلغته البشرية أحيانا وإقتربت منه أحيانا وابتعدت عنه أخرى وكم هي النماذج البارعة في تاريخنا التي لا تدع مجالا لشك في أن الإسلام هو النظام الأليق والأصدق والأمثل لحياة البشر إن وجد رجالا أفضاذا.

وأكثر نماذج هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم الخلفاء الحكماء ثم باقي الصحابة (خاصة أبو بكر وعمر) ثم عمر بن عبد العزيز والعديد من التابعين العاملين رضى الله عنهم أجمعين، وذلك لما لامست ارواحهم روح الإسلام وبذلوا كامل طاقتهم لنصرة هذا الدين وإعلاء كلمة الله في أرضه.

فكانت سياسة الحكم عادلة وكانت سياسة المال راشدة، فكان المجتمع إسلاميا حقا. لكن فأيام بنى أمية ثم في أيام بنى العباس من بعدهم كان بيت المال مباح للملوك كانه ملك لهم خاص⁸⁶ . فسدت سياسة المال بعد فساد سياسة الحكم أى تحوله من خلافة إلى ملك.

يستعرض سيد في هذا المبحث عن الوقائع التي حدثت من بدأ الإسلام. وتتجلى روح الإسلام وراء تشريعاته وتوجيهاته. وتصور في الإتجاهات والأهداف في الحوادث والوقائع والسلوك والشعائر. وإشتمل نماذج الظهر الروحي والشجاعة النفسية ، والتوضيحية المؤثرة ، والفناء في العقيدة والومضات الروحية والفكرية البارعة والبطولات الحية في شتى مواقف الحياة.

عند بدي الإسلام ، إنعكس الكاتب هناك كيف يظلم الكافرون علي محمد صلعم وأصحابه . وكشف عن ذلك الروح الأرواح البشر. وما نبّه من عبقریات، وما أبرز من بطولات وإنعكس أن قریشا كيف تكلّف المسلمين. وبین إنقلاب الإسلام من الجزيرة العرب إلى البلدان البعيدة. فذكر هناك أولا واقعة الهجرة من مكة إلى الحبشة ، وحاول المشركون أن يطفوا أنوار الإسلام منها ، فلهذا الغرض ذهبوا إلى الحبشة ليرد أولئك المهاجرين. فإذا حقّق نجاشي الملك الحبشة فعرف أن المسلمون قائمون علي الحق وهم غرسوا بذور الإيمان في قلوبهم لإختيارهم العقيدة الصحيحة. وأنكر الملك أن يرد المسلمين مع الكفار إلى مكة.

⁸⁶ (المرجع السابق : ص- 177

ويذكر سيد قطب شهادة من بطون التاريخ عن الجزيرة العربية من هذه الواقعة. وشهادة أخرى هي من رجل غير مسلم في العصر الحديث إسمه ج. ه. دينسون في كتابه " العواطف كأساس للحضارة" (Emotions as the Basis of Civilization) :

ففي الفرنسيين الخامس والسادس كان العالم المتمدين علي شفاجر ف هار من الفوضي ، لأن العقائد التي كانت تعين علي إقامة الحضارة كانت قد أنهارت، ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها، وكان يبو إذ ذاك أن المدينة الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرقة علي التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلي ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام . أما النظم التي خلقتها المسيحية فكانت تعمل علي الفرقة والغنيار بدلا من الإتحاد والظام. وكانت المدينة كشجرة ضخمة متفرعة أمتد ظلها إلي العالم كله واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتي الباب ..وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه" ⁸⁷

ثم يعرض نماذج من الواقعي التاريخي في الموضوع " العدالة الإجتماعية في الإسلام" ويبيّن هناك الواقعة التي روي عن بريدة رضي الله عنه . أن ماعز بن مالك جاء النبي صلعم وإعترف إرتكابه الزنا فحدّ النبي صلعم كما في الشريعة الإسلامية. وكذلك جاءت امرأة إلي النب صلعم وإعترفت مرتكبتها الزنا ، وإستمد النبي حدّها إلي ما التولد. فإذا تولدت الولد ثم إرضعته وبعد ختم مدة الرضاعة أمر النبي صلعم برجمها.

قد يشير الكاتب بهاتين الواقعتين إلي الباعث القوي الذي يغلب في أنفسهما علي رغبة الحياة ، أنها يقظة الطهر ، وحساسية الشعور ، أنها الرغبة في التطهر من الإثم الذي لم يطلع عليه أحد إلا الله . إنه الحياء أن يلقي الله يوم القيامة لم يطهر من ذنب أرتكبه.

فيعرض سيد قطب سبب عزل خالد بن وليد . يبيّن فيه سبب إن عزله كان بسبب شدة عمر كان عمر شديدا فما أراد أن يكون الخليفة شديدا وقائد الجيوش كذلك. قال ابن

⁸⁷ عن كتاب " الإسلام والنظام العالمي الجديد" تأليف مولاي وترجمة الأستاذ أحمد جودة السحار

كثير : فلما إنتهت الخلافة إلي عمر عزل خالدا وولّي أباعبيده بن الجراح ، وأمره أن يستشير خالدا . فجمع للأمة بين إمانته أبي عبيده وشجاعته خالد .

قد شهدنا الحوادث الصحابة والأئمة الكرام كيف يتقون الله ويثير تقوي الله في النفس الإنسانية بقوة حين تستشعر روحه . هناك ذكر الثلاثة الحوادث منها :

ما وقع بين بلال بن رباح واخيه ، وتصديق بلال علي أخيه عن الزواج ، فصدق كما كان أخاه . والحادث الثاني وقع بين أبو حيفة وحفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة . ونّبّه أبو حيفة شريكه أن بيّن عيبا في ثوبه . وككن نسي شريكه وأخذ ثمنا كاملا ولكن أبو حيفة رفض أن يضيف أن الثمن إلي حر مال وتصدق به كاملا .

وكذلك ، حدثت واقعة أخرى وهي : كان يونس بن عبيد تاجرا حلل مختلفة الأثمان ، وقسم قيمة كل حلة منه أربعمئة إلي الأعرابي بموضع مائتين . فإذا علم يونس فردّ عليه مائتي درهم . وخاصم ابن أخيه في ذلك .

ومثل ذلك ، كان يبيع غلام محمد بن المنكدر لأعرابي في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة . وكلبه محمد بن المنكدر فوجده ورد عليه خمسة .

ثم يوضح الكاتب الوقائع التي كيف طبقت نظرية الإسلام في المساواة والتحرر بناء الفكرة الإسلامية عن المجتمع الإنساني . الزواج بين محمد صلعم وزينب بنت جحش مسألة حساسة ترتفع فيها قضية المساواة إلي افق دونه كل أفق فوازن الكاتب هناك بين معاشرّة الإسلامية في الولايات المتحدة . يحرم الزواج مع البيضاء ودخول المدارس والجامعات والمطاعم والجلوس إلي الجوار البيض في المركبات العامة .

ونشهد في أول الهجرة كيف جعل النبي صلعم مواخات بين المهاجرين والأنصار ، وصارت صلة الحياة التي تعدل صلة الدم ، صلة القربي في النفس والمال وسائر مظاهر حياة وبعث النبي صلعم غلامه زييد لغزو الروم في جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبوبكر وعمر وكذلك قرر أبو بكر علي إرسال جيش أسامة وأسامة هو الأمير .

ويذكر واقعة أخرى عندما يقف بباب عمر سهيل بن عمرو وبن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن الحرب وجماعة من كبراء قريش ، فأذن عمر لصهيب وبلال وهما غلامان فقيران . وغضب أبوسفيان لتقديمهما ، وقال : لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا علي الباب .

يوما يمر عمر بن الخطاب بمكة فرأى الخدم لا يأكلون مع سادتهم وغضب عليهم وأمرهم أن يأكلوا مع السادة في مائدة واحدة .

ومزية بن أبزي كان مولى لنافع بن الحارث إستخلفه علي أهل الوادي بعسفان. فكلب منه عمر بن الخطاب لأي سبب جعله خليفة وهو مولى فقال نافع بن الحارث إنه قارئ القرآن وعالم بالفراش وقاض . فاستمع حديثا : قال النبي صلعم : " أن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامها ويضع به الآخرين. وإعتمد عمرو بن الخطاب علي الشوري وهم ستة أركان : عثمان، وعلي ، وطلحة، والزبيروابن عوف وسعد بن أبي وقاس وعبد الله بن عمر .

ويلاحظ سيد واقعة أخرى وهم : خطب رجل خطبة النكاح إلي رجل من قريش . إنه كان مولى . فانكر خطبته. فإذا سمع عمرو هذا فسأله لماذا لا تزوجه ، وقال إنه ليس لها بكفاء ، فقال عمرو لقد جاء بحسب الدنيا والآخرة ، أما حسب الدنيا فالمال وأما حسب الآخرة فالتقوي ، فأمره يزوج به إن كانت المرأة راضية: فراجعها أخوها فرضيت فزوجها به.

كيف إحترم الإسلام الموالى ، وفي التاريخ الإسلامي شاهد أن عبد الله بن عباس بذكر مولاه عكرمة وكان عبد بن عمر يذكر ومعه مولاه نافع. وأنس بن مالك مولاه ابن سيرين، وأبوهريرة ومعه مولاه عبد الرحمان بن هرمز. وفي البصرة كان الحسن البصر غلاما وفي مكة كان مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وطائوس بن كيسان هم الفقهاء، ويزيد بن أبي حبيب في مصر في أيام عمر بن عبد العزي.

فعمل بيده مكرم ومحترم عند الإسلام. لا في عالم النظريات والمثل بل في واقع الحياة، وذكر سيد في القائمة التالية .

1. أبو حنيفة كان خازنا
2. أحمد بن عمر بن مهير كان خصافا
3. الكرابيسي كان يبيع الكرابيسي
4. ابن قطلوبا كان يعمل خياطاً.
5. الجصاص العمل في الجص
6. الصفار من يبيع الأواني الصفرية أي الخاسية.
7. الصيدالاني من يبيع العطر

8. الحلواني كان أبوه يبيع الحلواني

9. الدقاق

10. الصّابوني

11. النعالي

12. البقّالي

13. القدوري

وإن نلاحظ إلي الأمراء والخلفاء والملوك في الإسلام أنهم كيف يلقون من رعاياهم من حرية في إظهار القول والشعور. منشؤها ذلك التحرر الوجداني الذي به الإسلام في الضمير . وتلك المساواة المطلقة التي حققها في القول والعمل . وذلك نظام السياسي والإقتصادي والاجتماعي الذي كفل لكل فرد جوده وكرامته وكفل له العدل .

فيذكر هناك واعاءت عديدة منها :

عندما غنم المسلمون أبرادا ثيابه. فخصه برد. خص أبنه عبد الله برد. كأى رجل من المسلمين. ولما كان الخليفة في حاجة إلي ثوب ، فقد عطاء عبد الله ببرده . وهندما خطب الخليفة الناس : يا يها ناس ! إسمعو وأطيعوا : فوقف سلمان فقال : لا سمع لك ولا طاعة . قال عمر لما؟ قال سلمان من أين لك بهذا الثو ، وقد نالك بردا واحد وأنت رجل طوال؟ قال لا تعجل ونادي يا عبد الله بن عمر ، قال ليبيك يا أمير المؤمنين ، قال ناشدتك الله البرد الذي إنتزرت به هو بردك ؟ قال ألهم نعم. قال سلمان: الآن مر نسمع ونطع.

وكذلك حدثت واقعة بين أبو جعفر المنصور وسفيان ثوري : فيقول سفيان : فما قولك أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ، ومال أمة محمد بغير إذنهم. إذ يقول أبو عبيد : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فيجيبه سفيان بعنف : أسكت ، فإنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون" ⁸⁸ ثم يخرج وقد صدع بكلكمة الحق القوية حيث لا يملك الجابرة، وأخلص نفسه لله .

⁸⁸ عن كتاب : أبو حنيفة الأستاذ الجندي

ووثق بالله كان أحد الملوك المستبدين . يدخل عليه شيخ من المتكلمين فسلم الوثيق ولكن لم يرد سلامه . ويقول لا سلم الله عليك فإذا رجل يجبه : بئس ما أدبك معلمك ! قال الله تعالى : " وإذ حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو رجوها " فلا سلمتني بأحسن منها ولا رددتها "

وكان أبو يوسف قاضي القضاة فيختصم إليه رجل مع الهادي في بستان ، ويرى أبو يوسف أن الحق مع الرجل . ولكن السلكار شهوده . فيقول " أن الخصم يطلب أن يحلف الهادي علي أن شهوده صادقون . فينكل الهادي عن اليمين لما يعتقد فيها من مهانة له ، ويرد البستان علي صاحبه . ولم تخب هذه الشعلة التي أشائها الإسلام في الضمير حتي في أحلك التاريخ . فقد تناثرت علي مداه أمثلة شتي لهذا التحرر الوجدان ، والسمو الروحي علي جميع القيم وجميع القوي وجميع الملابس .

الكاتب الموصوف ذر الواقعات المختلفة مثل معاملة بين أحمد طولون في مصر مع بكار بن قتيبة القاضي الحنفي وبين نجم الدين أيوب وعز الدين بن عبد السلام ، وبين الطاهر والشيخ محي الدين النووي .

فلما الشيخ محي الدين نصح الظاهر نصيحة لمصلحة الملوك ، فأنكر الظاهر نصيحته وإستمر في جبايته لأنها الحرب التي تحتاج إلي المال ، والعتاد . وقد جمع جمع السلطان العلماء للفتوي علي تأييد عمله ، فقال الشيخ في ذلك المجلس يخاطب الظاهر : وليس لك مال . ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت أن عندك ألف مملوك ومائة جارية ، فإن أنفقت ذلك كله وبقيت ممالك بالبندود الصوف بدلا من الحوائض . فغضب الظاهر فأخرج من دمشق ، وأقام فيها وحاول العلماء أن يعده ولكن أبي - وقال لا أدخلها والظاهر بها . ومات الظاهر بعد شهر .

وكذلك التاريخ الإسلامي كامل نماذج من هذه الكرامة . وقعت في مصر عند ما زار سلطان عبد العزيز مصر في أيام إسماعيل مع الشيخ حسن العدوي والحادث الثاني وقع بين الخديو توفيق باشا والشيخ حسن الطيل .

ثم توجه الكاتب إلي بيان ما يتعلق بالمساواة الإنسانية والتحرر الوجداني والعدالة المطلقة أن نتحدث عن الواقع التاريخي في معاملة البلاد المفتوحة والطوائف غير الإسلامية في بلاد الإسلام . فهذا لون مساواة والعدل يتجاوز الأفراد إلي الجماعة ويتجاوز حدود الإسلام إلي حدود الإنسان .

وتبعاً لحقيقة أن الغسلام دين للبشر كافة وأنه لا يعتمد علي القهر المادي ، فإنه وضع شعوب الدنيا إمام ثلاث طرق. لكل أن يسلك أحدهما :

الأول الإسلام والثاني الجزية والثالث أو القتال. فأما الإسلام هو التصور الجديد الكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان.

وأما الجزية : الفرد المسلم يؤدي صريية الدم لحماية الدولة ثم يؤدي للدولة الزكاة لحماية المجتمع. والفرد غير المسلم يتمتع بالأمن في ظل الدولة الإسلامية وبالحماية الداخلية والخارجية وبسائر المرافق التي تهيئها لادولة للسكان.

وأما القتال : لقد حقق الإسلام أهدافه كاملة في البلاد المغزوة في حالة الإسلام. وكفل لهم حقوق الإنسانية الكريمة في حالة دفع الجزية وكفل لهم المعاملة الإنسانية العادلة في حالة القتال. قد أقرّ الحكام المسلمون كثيراً من الموظفين في بلادهم المفتوحة علي وظائفهم التي دون الولاية . ممن بقوا علي دينهم ولم يسلموا وأخلصوا في العمل للصالح العام.

ومع أن النصوص الإسلام تبيح للفتاحين أن يستأثرون بكل ما يملك المحاربون الذين يأبون الإسلام والجزية ويقاثلون المسلمون ، فإن عمر بن الخطاب حين فتحت فارس علي أيّامه. تصرف بما أملتة علي روح الإسلام ، فاستبقي الأرض لأهلها وألزم عليها الخراج مراعيًا في ذلك مصلحتين : مصلحة أهل البلاد المفتوحة. ولو أنهم قاتلوا المسلمين لتبقي لهم وسيلة أرزاقهم وعملهم ، ومصلحة الأجيال المقومة من المسلمين.

هناك يتجلي سيد قطب واضحة في معاملة الإسلام للبلاد المفتوحة . فأعطاهم كل ما خير والإنتفاع حاجزا للون أو الجنس أو الدين أو اللغة أمام أحد. وهم يستطيعوا أن يبذلوا نشاطهم الطبيعي لخير الجميع . وكانت لهم الحرية التي كفلها الإسلام لأهل البلاد المفتوحة في مزاوله شعائرهم الدينية وهذه الحماية التي فرضها لبيعهم وكنائسهم ومعابدهم وأحبارهم ورهبانهم.

نفهم بذا أن الإسلام قمة في العدل الإجتماعي الإنساني الشامل لم تبلغها بعد الحضارة الأوربية، لأنها حضارة المادة الجامدة ، حضارة القتل والقتال والغلب والنضال. يعرض نماذج من الواقعي التاريخي منهج الإسلام في الرحمة الوبر والتكافل الإجتماعي الشامل بين القادرين والعاجزين وبين الأغنيا والفقراء وبين الفرد والجماعة . وبين الحاكم والمحكوم مل بين أبناء الإنسان مما حفل تاريخ الإسلام الطويل

فهناك جاء بأحوال خلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار كيف يتصدقون أموالهم في سبيل الله. ولحماية الدين ومصلحة الناس.

عندما أبو بكر أسلم كان له أربعون ألفا درهم. وأنفق كل درهمه للضعفاء من الموالي المسلمين الذين كانوا يذوقون العذاب ألوانا من سادتهم الكفار. وكذلك عمر بن الخطاب وقف أرضا بخير علي الفقراء والقربي وفي الرقاب وفي سبيل الله والضعيف. ومثله عثمان بن عفان ، قبل الخلافة ربح في التجارة ألف بعير موسوقة برا وزيت وزبيبا. وسائر هذه العير تصدق لله علي المساكين والفقراء من المسلمين.

مثله علي بن أبي طالب وأهل بيته يتصدقون بثلاثة أرغفة من سويق ثم يبيتون علي الجوع. وقد شبع المسكين واليتيم والأسير.

وكذلك الحسين بن علي يثقله الدين وأداها منه ، والأنصار في المدينة يشركون المهادجرون في أموالهم ومسكنهم ويواخونهم ، فيعقلون معاقلهم ويفدون عانيهم ويخلطون بانفسهم.

ترتفع روح الإسلام يعمر إلي الأحق الإنساني الكريم منذ أكثر من ثلاثة قرنا فيجعل الضمان الإجتماعي حقا إنسانيا لا يتعلق بدين ولأمة ولا تعوقه عقيدة ولا شرعة. يحدث الكاتب عن أفق علي غير المسلمين وهي : رأي عمر شيخا ضريرا يسأل علي باب فسأل فعلم عمر أنه يهودي فقال له : ما الجاك إلي ما أري : قال الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلي منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسله إلي خازن بيت المال : وتصدق إليه .

ولما سافر إلي دمشق مر بأرض قوم مجذمين من النصاري لإمر أن يعطي من الصدقات وإن يجري عليهم القوت.

قد يستعرض سيد قطب عن كيف جاء وجود نظام الحكومة من الخلفاء الراشدين . فأوصف نظام الحكم ونظام المال في أيام الخلفاء الراشدين. وضح أولا كيف إستخلف أبو بكر علي الخلافة وتنازع بها بين المهاجرين والأنصار وإقدام عمر بن الخطاب ليحل المشاكل. وكيف أحكم أبوبكر بضوء القرآن والأحاديث النبي صلعم ما فيه قاعدة الإسلام الأصلية في الحكم.

فلما إنتقلت الحكومة من أيدي الخلفاء الراشدين إلي الأمويين. فصارت الخلافة الإسلامية ملكا عضوضا في بن أمية. ولم يكن ذلك من وحي الإسلام. إنما كان من وحي الجاهلية الذي أطفأ إشراقه الروح الإسلامي. وكان معاوية مؤسس لخلافة الأمويين. وبعد ختم خلافة معاوية إستخلف ابنه يزيد . وصوّر الكاتب الأوصاف الرديئة في يزيد . إنه كان رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة وقاتل الحسين بن علي .

فيذكر هناك خطبة التي خطبها أبو بكر بعد إنتهاء البيعة للخلافة وهي :

" أما بعد - أيها الناس - فإني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة. والضعيف فيكم فوي عندي حتي أريح عليه حقه إنشاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة . في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما ما أطعت الله ورسوله . فإن عصبت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"

ثم يعرض هنا كيف يحافظ الخليفة أموال المسلمين وحققو الرعية المسلمون أو غير المسلمون. وبيّن خطبة عمر و بن الخطاب عقب البيعة فقال في خطبته عن إهتمام أموال المسلمين: " أيها الناس : ما أنا إلا رجل منكم ، ولو لا أنني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم"

وخطب خطبته الثانية فقال فيها: ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها : عليّ أجتبي شيئا من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي الأ يخرج منها إلا في حقه ، ولكم عليّ ألا أليكم في المهالك ولا أجركم في ثغوركم ، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال" وكان يقول : إني أنزلت مال الله مدي بمنزلة مال اليتيم ، فإن استغنيت عفت عنه، وإن أفقرت أكلت بالمعروف "

يبين سيد بعض الوقعات للخلفاء الراشدين الذين يهتمون في محافظات أموال بيت المال وإحترازها وإحتياط إنفاقها. بعد إستخلاف عمر بن الخطاب قاسم عماله فأعطي عمرو بن العاص واليه في مصر ، وسعد بن أبي وقاس واليه في الكوفة ، كما ضم مال أبي هريرة واليه في البحرين. ولقد كان تصور الحكم في نفس عمر بإختصار هو : الطاعة والنصح في حدود الدين من الرعية والعدل والحسني كذلك من الراعي . ولقد قبل قبل من رجل من راعيته أن يقول له :

" لو وجدنا فيك إعوجاجاً لَوَمناه بسيوفنا" فأقرأ بذلك مبدأ حق الراعية في تقويم الراعي . كما خطب الناس يوماً فقال : " إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ، وليشتتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكني أستعملتهم ليعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم. فمن ظلمه عامل بمظلمة ، فلا إذن له عليّ ، ليرفعها إليّ حتي أقصي منه "

يقول سيد قطب ناقدا خلافة عثمان أنه شيخ كبير . ولكن ويشكي الكثرون في أعمال الخلافة. لا يهتم بيت المال المسلمين ويتصرفه في قرابة عثمان كثيرا. فمنح عثمان إبنته الحارث بن الحكم يوم عرسه مئتي ألف درهم للزواج . ومنح الزبير ذات يوم ستمائة ألف ، ومنح طلحة مائتي ألف ، ونفل مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية . وغير المال منح معاوية الذي وسّع عليه في الملك فضم إليه فلسطين وحمص ، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة . وجعل ابنه مروان بن الحكم وزيره المتصرف .

يعتمد علي ذلك ثارت الثائرة علي عثمان ، وإختلط فيها الحق والباطل . والخير بالشر. وقد نشأ عن عهد عثمان الطويل في الخلافة أن تنمو السلطة الأموية ويستفحل أمرها في الشام وفي غلير الشام، وأن تتضخم الثروات نتيجة لسياسة عثمان. ومع كل ما يحمله تاريخ هذه الفترة ,أحداثها من أمجاد لهذا الدين ، تكشف عن نقلة بعيدة جدا في تصور الناس للحياة والحكم ، وحقوق الرعية ، إلا أن الفتنة التي لا يمكن التقليل من خطرها ,آثارها البعيد المدى.

ثم يبيّن عن الخليفة الرابع هو حضرة علي رضي الله عنه . تصور الباحث عن أخلاق علي أبي طالب وأمانته وديانته وعدالته علي الراعية وترجيحه في حقوق الإنسان خصوصا في المسلمين. بعد ان انتخب المسلمون الامام علي بن ابي طالب في مسجد المدينة المنورة خليفة للمسلمين عام 651 ميلادية, بدا بتطبيق برنامجه الاصلاحى في اشاعة العدل والمساواة بين ابناء الامة الاسلامية بصرف النظر عن دينهم ومذهبهم ولغتهم ولون بشرتهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية. لقد امر الولاة ان يكونوا رحماء مع رعاياهم كما تجلى ذلك في رسالة الامام عام 656 م الى والى مصر مالك الاشر.

عصرُ عمر بن عبد العزيز كان عصراً مميّزاً عن العصور التي بعده , وكانت سيرته أشبه بسيرة الخلفاء الراشدين ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصره , وأثنى عليه ، فعن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة رضى الله عنه يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة" ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي : ما قال ؟ فقال : "كلهم من قريش".

ثم يعرض مختصرا عن شخصية عن واليد بن عبد الملك . إنه عمل الأعمال مصلحة الإنسانية مثل تعهد الأيتام وكفلهم, وخصص للمكفوفين من يقودهم, ورتب لهم جميعا الرواتب المنتظمة . وضع المجنومين جميعا في بيت خاص يرعاهم فيه طبيب خاص . أعطى كل مُقعدَ خادماً يهتم به وأجرى لهم الأرزاق . شجع العلم والعلماء، وحفظه القرآن الكريم . أنشأ الطرق وحفر الآبار على طول الطرق العامة.

كان سليمان بن عبد الملك ديناً فصيحا مفوها عادلا عاقلا طموحا محبا للغزو . ولما تولى الخلافة ,قسم أموالا عظيمة، ونظر في أمر الرعية .

مستعرضات في بيت المال المسلمين :

ان النظام المالي يتناول عدة قضايا منها, بيت المال نشأته وموارده من الضرائب المختلفه مثل الخراج – الزكاه – الفية – الغنائم والعشور. ومصروفاته والتغييرات التي طرات عليه في الفترات المختلفه.

معنى بيت المال:

لا تستطيع اية دولة ان تتقدم و ليس لها مال تصرفه على شؤونها او موارد تجمع منها حاجاتها المالية. و قد حدد الاسلام بعض موارد الدولة الاسلامية, وكانت تجمع في مكان يقال له بيت المال. وهو اشبه بخزينة الدولة العامة او بوزارة المالية في عصرنا هذا. وكان عمر بن الخطاب اول من انشا بيت المال.

العصر الراشدي:

اعتبر بيت المال في العصر الراشدي ملكا للمسلمين عامة و لكل منهم نصيب فيه و ينال كل محارب او موظف مقدارا معيناً في كل شهر.

العصر الاموي:

ولكن الامويين اعتبروه ملكا لهم يتصرفون به كيف يشاؤون, فنرى معاوية يهب خراج مصر الى عمرو بن العاص طيلة حياته, و يفرق في الاموال بلا حساب لاكتساب الانصار, وتبعه غالبية الخلفاء الامويين والعباسيين الذين صاروا ينفقون اموال بيت المال حسب اهوائهم ثم حددت رواتب الخلفاء وسائر الموظفين فيما بعد واصبح الخليفة او الوالي لا يستطيع ان يتصرف باكثر مما حدد له وتصرف بقية الاموال على شؤون الولاية او مركز الخلافة.

و"حاضر الإسلامي ومستقبله" هذا هو المبحث الثامن من عناوين الكتاب؛ وأما العنوان "حاضر الإسلام ومستقبله" نجد في هذا الشأن أن سيد قطب يدعو جميع المسلمين أن يتبعوا الشريعة الإسلامية . في يومنا هذا توقفت الحياة الإسلامية في جميع أنحاء العالم . ويعتبر بهذه الحقيقة الهامة يرغبنا الكاتب لإهتمام الدعوة الإسلامية مع الإقرار بالحاكمية لله وحده ؛ ونتبع أحكام الله في كل شؤون الحياة كما أنزل الله علينا . ونحس أبدا كيف نقدر أن نغرس بذور الإيمان في قلوب المسلمين .

ويشير سيد قطب إلى المناظر الإسلامية في العالم أنها كيف تأثرت بالثقافات الغربية وغلبت أوربا في العالم . وكيف حجب الإستعمار الصليبي في العالم الإسلامي كله شرقا وغربا . وخرج الروح الإسلامية وصعفت قوة الأمة الإسلامية واصابت صدمات عديدة كصدمة الاندلس في الغرب وصدمة الصليبية في الشرق . ونجد أن اللورد اللنبي عندما دخل في بيت المقدس في الحرب العظمى الماضية يقول " اليوم فقط إنتهت الحروب الصليبية"

يعد سيد انجلترا أنه أشد الدول الأوروبية تسامحا وأعضاء ولباقة في معالج المسائل الدينية. ويبين كيف أستفدت أوربا في نهضة الفنون والعلوم الأوروبية من المصادر الإسلامية والعربية على الأخص . ويرسم الكاتب أن الإسلام كيف توفر مصادر التطور في القرون الماضية. وأظهر مسارات النجاح للذين إتبعوا على شريعة الله . ويحاولون أن يقيموا

الحكومة شرقا وغربا . وترك المسلمون العناصر التي قامت عليها الدولة ولكن يتقدم إلى العناصر التي صدرت من "الترك"⁸⁹ و"الشراكسة"⁹⁰ و"الديلم"⁹¹ .

وقبل كل شيء نجد فيهم لم يبق روح الإسلام وبدأ انحطاط المسلمين في العالم . ثم نشاهد الحقيقتين اللتين يذكر سيد قطب بهذا الصدد الأولى هي نشأة تسنيم العقل الأوربي عما شوهه قادة الأوربيين من تعليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلية في الغرب والثانية هي تابعت العقلية الأوربية على بنیان مادية . إمارة الفكرة الروحية فيها حقيرة منذ التمدن الرومانية إلى العصر الحديث .

ويضيف الكاتب أن العدالة الإجتماعية فهي جزء من الحياة الإسلامية التي قامت على الشريعة الإسلامية. والشريعة الإسلامية هي شريعة الله . وهي كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية . وهذا يقتدى في أصول الاعتقاد ، وأصول الحكم ، وأصول السلوك ، وأصول المعرفة والعقيدة والتصور وكل مقدمات هذا التصور والأحكام التشريعية وفي قواعد الأخلاق وفي القيم والمزاين التي تسود المجتمع ، وتقوم بها الأشخاص والأشياء والأحداث وفي أصول النشاط الفكري والفني . وكل هذه تكون مفهومة أن ترجع فيها إلي أصول التصور الإسلامي جملة ، وإلى ما ورد عنها في كتاب الله وسنة رسوله مفصلا . فتقافة الإسلامية قائمة على قاعدة التصور الإسلامي . والثقافة الجاهلية قائمة على مناهج التي ترجع إلى قاعدة واحدة. وهي قاعدة التي أقامت الفكري البشري إليها ، والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكري والواقعي الإنساني.

بهذا الصدد نجد أن سيد يقتبس صورة الإجتماعية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكيف برزت تلك المقومات الأساسية لطبيعة الدعوة، وطبيعة الرسول ، وطبيعة البيئة التي استقبلت الدعوة واستقبلت الرسول وطبيعة المجتمع الإنساني الذي كان يعاصر مولد الإسلام. وطبيعة العقائد والأفكار. وبعد الملاحظة في عهد الرسول نجد أن الرسول كيف أختار رجاله . وكيف صاغهم وأعدهم للمهمة العظمى . وكيف بنى الرسول نظامه ؛

⁸⁹ الترك : هي شعوب تقيم في شمال ووسط وغرب أو راسيا ، هم جماعة مرتحلة من الترك في آسيا الداخلية الوسطى

⁹⁰ الشراكسة: هي مجموعة شعوب تشمل سكان شمال القفقاز من أدیغة وشيشان وآفار يعد الشراكسة الذين يدين معظمهم بالديانة الإسلامية.

⁹¹ وهم احدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية.

على أي الأسس قام هذا النظام، وكيف بدلت الجزيرة العربية من عبادة الوثنان إلى عبادة الله ؛ وهذه لهذا الدين الجديد ، وماذا الأشياء غرس في طبيعتها وفي ظروفها وفي رجالها وبيوتها وعشائرها وعلاقاتها الإجتماعية، وملابساتها الإقتصادية والجغرافية والحيوية .

"في مفترق الطرق" هذا المبحث التاسع من عناوين الكتاب؛ نجد فيه يقول سيد قطب أن العالم ينقسم اليوم إلى كتلين وهم كتلة الشيوعية في الشرق وكتلة الرأسمالية في الغرب . ويجهر سيد قطب أسباب التفريق بينهما وهي مدار السلع والأسواق لا على العقائد والأفكار . وكلتاهما تقوم على تحكيم الفكرة المادية في الحياة؛ وهما قريبتان في طبيعة تفكيرها من الأخرى . وسبب التنازع بينهما هو النفوذ في العالم والربح في الأسواق والمسلمون هدف الأسواق لهما في العالم .

في هذه الشعور يبرز عن الإسلام هو القوة الحقيقية التي تبطل لقوة الفكرية المادية التي تدين بها أوربا وأمريكا وروسيا والصين على السواء. الإسلام هو الذي ينحصر التصور الكلي الشامل المتناسق عن الوجود والحياة . وقيم التكافل الإجتماعي في المحيط الإنسانية مقام الصراح والتطاحن . ويجعل للحياة قاعدة روحية التي تصلها بالله.

ويقول الكاتب يقارن المسيحية والإسلام على الأسس العدالة الإجتماعية أن المسيحية لا تستطيع ان تجاري الأحوال الإجتماعية والإقتصادية الدائمة النغير، لأنه ليس في جوهرها أية فكرة عن الحياة الواقعة العملية . فأما الإسلام فهو نظام كوني كامل، فيه العقيدة والتشريع والتنظيم والإجتماعي والإقتصادي الخاضع للوجدان وللتشريع ، والقابل للتطور في الفروع والتطبيقات الإسلام يقدم للبشرية كاملا شاملا عن الوجود والحياة ، ونظاما عمليا واقعيا للمجتمع ، وشريعة مفصلة وقابلة لترقي التفريعي الذي يقابل حوائج المجتمع المتجددة . وهو يقيم السلوك على الأساس العنصر الروحي الأخلاقي . وينكر فكرة المنفعة القريبية . وقد عرف أعداء الإسلام هذه الحوادث الإسلامية لذلك حاولوا أن يطفؤ أنوار الإسلام .

ومن جهة اخرى ، لم نجد حاضر الإسلام حركات البعث الإسلامي كما كانت في جماعة المسلمة الأولى . فإنهم جاهدوا لترقي الإسلام عن الإضطهاد والتأييد والتمكين في الأرض في نهاية المطاف . إن حركات البعث الإسلامي . تتفارق اليوم في العالم كلها و

وتغزو على الصليبية عرينها في قلب أمريكا وأوربا وترتعد في آسيا وإفريقية على الرغم من كل ما راقبته لها الصليبية والسهونية من الأجهزة والأوضاع التي تحاول إهلاكها. ولكن هذه الحركات يمكن ان تذهب وراء الكذب .

الفصل الثالث

الخلاصة

إن الكتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" عمل من الأعمال القيمة لسيد قطب حول الإصلاح الاجتماعي. ترك كثيرون من العلماء كتباً عديدة على هذا الموضوع. ولكن لم نجد كتاباً شاملاً. هذا هو الكتاب الذي يتألف أكثر من أسس الإسلام خصوصاً في العدالة الاجتماعية للإسلام. كان سيد قطب يجاهد جهداً كبيراً على حقول إصلاح المجتمع الإسلامي بالخصوص في المجتمع المصري.

في أول الأمر، نجد في كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" أن سيد قطب يحصر كلامه هذا الكتاب في تسعة عناوين. تحتوى العنوان الأول على المبحث عن الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام. توجد فيه أهمية دين الإسلام، ويفكر فكرة الإسلام كيف أتى الإسلام بأخبار العدالة الاجتماعية في العالم. فنجد أنه يكتشف هناك بتوضيح صور المجتمعي الإسلامي والمسيحية مع بيان التأثيرات الغربية على بعض نظريات المسلمين حول التصور الإسلام. وينتقد سيد قطب نظريات هؤلاء المسلمين. فيقول أن شعائر الإسلام أربعة وهى العبادات، والمعاملات، والشرائع، والتوجيهات ويبيّن كلها بالتفصيل مع الاستشهاد من القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. فيقّم نصيحة لنا لفهم الدين الحقيقي ولنعرض من هذه النظريات الغربية ونقيم أنفسنا على هذه الأساس من دعوى الإسلام التي تتحقق لنا العبودية لألوهية الله تعالى وهى صورة الحكم بشريعة الله.

ثم نجد أنه يوضح أن مفهوم الاجتماعية في الإسلام يدرك بمفهوم التصور الإسلامي عن الكون والألوهية والحياة والإنسان. وينتقد فلاسفة الإسلام مثل ابن سينا، الفارابي، ابن رشد، لأنهم قلّدوا الفلسفة الإغريقية التي بعيدة عن الروح الإسلامي. في الإسلام التصور الكامل المقتبس من القرآن والحديث وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم يبين للعدالة الاجتماعية ركيزتين: وهما ركيزة الوحدة المطلقة المتناسقة بين مقومات

الإسلام، وركيزة التكافل العام بين الأفراد والجماعات . فيوضح كلامه مكتشفاً إلى حقائق الأموال وترتيبهن للإنفاق في الإسلام، كما يرتب في الأموال حقوقاً للفقراء يقدر حاجاتهم ، وبقدر ما يصلح المجتمع ، ويضمن له التكافل والتعادل والنماء . وبذلك لا يعقل جانباً واحداً من جوانب الحياة المادية والشعور الدينية والدينية .

إضافة إلى ذلك إنه يضم أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام . فيمهد المؤلف أن الإسلام بطبيعته هو دين تنفيذ وعمل في واقع حياتنا ولا دين دعوة فقط ، فحصر سيد قطب هذه الأسس في ثلاثة هي الحرية والمساواة الإنسانية والتكافل الاجتماعية . فيصور هذه الأسس بإستشهاد بآيات القرآن الكريم والأحاديث من النبي صلى الله عليه وسلم . فاستشهد سيد قطب هناك القوانين الأساسية في التحرر الوجداني من الجبن والخوف والشرك والطمع والكبر عبادة المال والجاه والحسب والنسب . وبصدد المساواة الإنسانية ، نرى ما يوفر الإسلام حقوق المساواة الإنسانية في وحدة الجنس البشري وفي المنشأ والمصير. في المحيا والممات في الحقوق والواجبات أمام الله وأمام القانون . وأما في التكافل الاجتماعي ، يبحث سيد قطب فيه عن التكافل بين الفرد وذاته أي تركية النفس من حب الخلائق مثل حب الأباء والأبناء والإخوة والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن . والتكافل بين الفرد وأسرته وهي التعاون والتياسر للوالدين وضعفاء المسلمين . والتكافل بين الفرد والجماعة وهي التوجه من المصلحتين، كما نجد في تقسيم الميراث بين عضوء الأقرباء . والتكافل بين الأمم وهي التعارف والتنافس والتعامل. والتكافل بين الأجيال وهي وحدة المصير.

وأما في العنوان " وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام" نجد انها مشتملة على بيان تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام على قسمتين وهي سياسة الحكم وسياسة المال . أما سياسة الحكم فهي تقسم على قسمتين : الأولى - التكليف القانوني داخل المجتمع. والثانية - الضمير البشري داخل الفرد.

على حد تعبير سيد قطب نجد أن نظام الإسلام ينقسم على فكرتين أسسيتين وهما (أ) وحدة الإنسانية في الجنس والطبيعة والنشأة والمساواة المطلقة بين جميع المسلمين . (ب) عالمية الإسلام ؛ هي نظام العالمي العام . ويبين فيها كيف يطمئن نظام الإسلام لجميع المساواة المطلقة والتكافل التام مسلمين أو غير مسلمين . وذلك من قاعدتين

أساسيتين هما : (أ) قاعدة الحاكمية لله كله . (ب) قاعدة العدل : أن يحكم الحكام بعدالة الإسلام. في بيان سياسة المال؛ يبين فيه كيف تقوم سياسة المال في الإسلام على تحقيق العبودية لله وحده. ويبحث على اعتماد هاتين الوسيلتين التين تقومان عليهما الإسلام في تحقيق أهدافه جميعا وهما : التشريع والتوجيه . وكذلك يصور سياسة المال في الإسلام على قاعدتين وهما قاعدة الإستخلاف وقاعدة التملك المشروط .

وأما العنوان " من الواقع التاريخي الإسلام " نجد فيه أن الإسلام ليس فكر شاعري ومثل وجدانية تدركه الأشواق وتقصر دونه الأعمال ولكن انما هو واقع عملي حقيقي بلغته البشرية أحيانا وإقتربت منه أحيانا وأبتعدت عند أخرى . وكم من النماذج البارعة في تاريخنا التي لا تدع مجالا لشك في أن الإسلام هو النظام الأليق والأصدق والأمثل لحياة البشر. وأكبر نماذج هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الحكماء ثم باقي الصحابة خصوصا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ثم عمر بن عبد العزيز والعديد من التابعين العاملين رحمهم الله عليهم . وكذلك نجد عن شخصيتهم وإيمانهم وديانتهم وأمانتهم وصدقاتهم وأعمالهم المصالح المجتمعات وإخاءهم والفتهم وشجاعتهم وثبوتهم الإيمان كالجبال.

في مسألة المساواة الإنسانية ، نجد أن سيد قطب ويصور تصويرا من المجتمع الأمريكي . في أمريكا لا يؤذن أن يتجاوز رجل أسود مع امرأة أبيض . وممنوع الدخول لأناس أسود في المدارس والجامعات والمطاعم والجلوس إلى جوار الأبيض في المركبات العامة. ويبين المجتمع الإسلامي مع دقة الحقائق. وكذلك نشاهد الواقعة لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وعقد المؤاخات بين المهاجرين والأنصار وهي النموذج التي نتعلم بها حقائق العدالة الإجتماعية في الإسلام . وفي مجال بيت المال للمسلمين نجد أن المال يتناول عدة قضايا منها بيت المال نشأته وموارده من الضرائب المختلفة مثل الخراج والزكاة والفيئ والغنائم والعشور ومصروفاتها والتغيرات التي طرات عليه في الفترات المختلفة.

وأما العنوان "حاضر الإسلام ومستقبله" نجد في هذا الشأن أن سيد قطب يدعو جميع المسلمين أن يتبعوا الشريعة الإسلامية . في يومنا هذا توقفت الحياة الإسلامية في جميع أنحاء العالم . ويعتبر بهذه الحقيقة الهامة يرغبنا الكاتب لإهتمام الدعوة الإسلامية مع

الإقرار بالحاكمية لله وحده ؛ ونتبع أحكام الله في كل شؤون الحياة كما أنزل الله علينا . ونحس أبدا كيف نقدر أن نغرس بذور الإيمان في قلوب المسلمين .

ويشير سيد قطب إلى المناظر الإسلامية في العالم أنها كيف تأثرت بالثقافات الغربية وغلبت أوروبا في العالم . وكيف حجب الإستعمار الصليبي في العالم الإسلامي كله شرقا وغربا . وخرج الروح الإسلامية وضعفت قوة الأمة الإسلامية واصابت صدمات عديدة كصدمة الاندلس في الغرب وصدمة الصليبية في الشرق . ونجد أن اللورد اللنبي عندما دخل في بيت المقدس في الحرب العظمى الماضية يقول " اليوم فقط إنتهت الحروب الصليبية"

يعد سيد انجلترا أنه أشد الدول الأوروبية تسامحا وأغضاء ولباقة في معالج المسائل الدينية. ويبين كيف أستفدت أوروبا في نهضة الفنون والعلوم الأوروبية من المصادر الإسلامية والعربية على الأخص . ويرسم الكاتب أن الإسلام كيف توفر مصادر التطور في القرون الماضية. وأظهر مسارات النجاح للذين إتبعوا على شريعة الله . ويحاولون أن يقيموا الحكومة شرقا وغربا .

يمكن لنا أن نذكر ان فيهم لم يبق روح الإسلام وبدأ انحطاط المسلمين في العالم . ثم نشاهد الحقيقتين اللتين يذكرهما سيد قطب بهذا الصدد الأولى هي نشأة تسنيم العقل الأوروبي عما شوهه قادة الأوروبيين من تعليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلية في الغرب والثانية هي تابعت العقلية الأوروبية على بنیان مادية . إمارة الفكرة الروحية فيها حقيرة منذ التمدن الرومانية إلى العصر الحديث .

ويضيف الكاتب أن العدالة الإجتماعية فهي جزء من الحياة الإسلامية التي قامت على الشريعة الإسلامية. والشريعة الإسلامية هي شريعة الله . وهي كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية . وهذا يقتدى في أصول الاعتقاد ، وأصول الحكم ، وأصول السلوك ، وأصول المعرفة والعقيدة والتصور وكل مقدمات هذا التصور والأحكام التشريعية وفي قواعد الأخلاق وفي القيم والمزاين التي تسود المجتمع ، وتقوم بها الأشخاص والأشياء والأحداث وفي أصول النشاط الفكري والفني . وكل هذه تكون مفهومة أن ترجع فيها إلي أصول التصور الإسلامي جملة ، وإلى ما ورد عنها في كتاب الله وسنة رسوله مفصلا .

فثقافة الإسلامية قائمة على قاعدة التصور الإسلامي . والثقافة الجاهلية قائمة على المناهج التي ترجع إلى قاعدة واحدة. وهي قاعدة أقامت الفكر البشري إليها آخر، والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكري والواقعي الإنساني.

في هذا الشأن نجد أن سيد يقتبس صورة الإجتماعية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكيف برزت تلك المقومات الأساسية لطبيعة الدعوة، وطبيعة الرسول ، وطبيعة البيئة التي استقبلت الدعوة واستقبلت الرسول وطبيعة المجتمع الإنساني الذي كان يعاصر مولد الإسلام. وطبيعة العقائد والأفكار. وبعد الملاحظة في عهد الرسول نجد أن الرسول كيف اختار رجاله . وكيف صاغهم وأعدهم للمهمة العظمى . وكيف بنى الرسول نظامه ؛ على أي الأسس قام هذا النظام، وكيف بدلت الجزيرة العربية من عبادة الوثنان إلى عبادة الله ؛ وهذه لهذا الدين الجديد ، وماذا الأشياء غرس في طبيعتها وفي ظروفها وفي رجالها وبيوتها وعشائرها وعلاقاتها الإجتماعية، وملابساتها الإقتصادية والجغرافية والحيوية .

وأما العنوان " في مفترق الطرق " نجد فيه أن العالم ينقسم اليوم إلى كتلين وهم كتلة الشيوعية في الشرق وكتلة الرأسمالية في الغرب . ويجهر سيد قطب أسباب التفريق بينهما وهي مدار السلع والأسواق لا على العقائد والأفكار . وكلتهما تقوم على تحكيم الفكرة المادية في الحياة؛ وهما قريبتان في طبيعة تفكيرها من الأخرى . وسبب التنازع بينهما هو النفوذ في العالم والربح في الأسواق والمسلمون هدف الأسواق لهما في العالم .

في هذه الشعور يبرز عن الإسلام هو القوة الحقيقية التي تبطل لقوة الفكرية المادية التي تدين بها أوربا وأمريكا وروسيا والصين على السواء. الإسلام هو الذي ينحصر التصور الكلي الشامل المتناسق عن الوجود والحياة . ويقوم التكافل الإجتماعي في المحيط الإنسانية مقام الصراح والتطاحن . ويجعل للحياة قاعدة روحية التي تصلها بالله.

ويقول الكاتب يقارن المسيحية والإسلام على الأسس العدالة الإجتماعية أن المسيحية لا تستطيع ان تجاري الأحوال الإجتماعية والإقتصادية الدائمة النغير، لأنه ليس في جوهرها أية فكرة عن الحياة الواقعة العملية . فأما الإسلام فهو نظام كوني كامل، فيه العقيدة والتشريع والتنظيم والإجتماعي والإقتصادي الخاضع للوجدان وللتشريع ، والقابل

للتطور في الفروع والتطبيقات الإسلام يقدم للبشرية كاملا شاملا عن الوجود والحياة ،
ونظاما عمليا واقعيا للمجتمع ، وشريعة مفصلة وقابلة لترقي التفرعي الذي يقابل حوائج
المجتمع المتجددة . وهو يقيم السلوك على الأساس العنصر الروحي الأخلاقي . وينكر
فكرة المنفعة القريبية . وقد عرف أعداء الإسلام هذه الحوادث الإسلامية لذلك حاولوا أن
يطفؤ أنوار الإسلام .

ومن جهة اخرى ، لم نجد حاضر الإسلام حركات البعث الإسلامي كما كانت في
جماعة المسلمة الأولى . فإنهم جاهدوا لترقي الإسلام عن الإضطهاد والتأييد والتمكين في
الأرض في نهاية المطاف. إن حركات البعث الإسلامي . تتفارق اليوم في العالم كلها و
وتغزو على الصليبية عربنها في قلب أمريكا وأوربا وترتعد في آسيا وإفريقية على الرغم
من كل ما راقبته لها الصليبية والسهونية من الأجهزة والأوضاع التي تحاول إهلاكها.
ولكن هذه الحركات يمكن ان تذهب وراء الكذب .